

أحمد عبد الجواد الدومي

المستقبل .. للإسلام

الناشر

أمين عبد الرحمن

صاحب ومنشئ مجلة الاسلام



فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أُحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❀
الرَّحِيمِ ❀ مُلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❀
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❀
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❀
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❀

الطبعة الأولى

في هذا الكتاب

أين نبتت الفكرة ؟

من التوراة والانجيل

الأذان بالاسلام

الزحف المقدس

لماذا تخلفنا ؟

غروب وشروق

الوعد الحق

مقدمة

نبئت فكرة هذه الرسالة عندي ، وعاشت في كيأني ، وقفز
اسمها إلى ذهني ، وأنا أطوف حول الكعبة — البيت الحرام الذي
جعله الله مثابة للناس وأمنا .

هنالك ينطلق الدمع الحبيس ، والآهة المخزونة ، ويشوب الرشد
إلى العقول والأفهام ، وتمتلئ الأفئدة بالهواء النقي وحرارة الإسلام !!
هنالك وقفت طويلا أتأمل جمال الرهبنة مع بساطة المظهر ،
وحلاوة العبادة مع كثرة الزحام ، والزيادة في الحب مع قلة التعارف ،
والحنين إلى الوحدة الإسلامية مع الفرقة في الوطن ، والتباين في اللغة ،
وفي اللهجة ، وفي الجئس ؛ فصلة الأديان أقوى من صلة الاوطان ،
وأرحام الاسلام أمتن من وشائج القربى ، وجامعة القرآن أعز من
روابط الاحلاف المصطنعة ، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله
العذاب !!

هنالك تذكرت تاريخا غبر ، وماضيا سلف ، فكبرت ولبيت ،
وهاجني شوق دفين ، وذكريات لا يزال دمها الساخن القاني — دم



شهداء بدر وأحد والخندق ومؤنه وغيرها — يتحرك في دمي ، وأصوات
الدعاة الأطهار الأبرار : أبي بكر وبلال ومصعب وأبي ذر وإخوانهم ؛
كأنني أسمعها ندية حلوة قوية ، فأحس بالقوة ، وأعمر باليقين !!

وهناك رأيث وفود الله عز وجل تبسط يدها ، وتصل دمعها ،
وترسل ضراعتها في إيمان متبتل ، وخشوع حقيق . . . هاجرة وراءها
المال والراحة والولد . . . وكل همتها أن ترجع نظيفة الصحيفة ، طاهرة
الذيل ، مبدلة سيئاتها حسنات !!

قلت : إن هذه المظاهر وإن كانت اليوم سلبية في عالم الجهاد
والفضال ، إلا أنها هي المقدمة الضرورية لكل جهاد ونضال . . .
فلولا أذان بلال ما كان أذان الحرب ، ولولا صلاة الأمن ما كانت
صلاة الخوف ، ولولا التشريع المكي ما كان التشريع المدني !!

فإن توحيد المسلمون اليوم على القبلة ، وفي فريضة الحج ، وفي
الصلاة والزكاة ، فهذا مقدمة توحيدهم في الغد القريب المرتقب على
النفي في سبيل الله ، ليحرروا عقاندهم من بدع الحضارات الجاهلة ،
وقلوبهم من خوف الفقر وذل العبيد ، وأوطانهم من سطوة الأقمار
الصناعية والصواريخ الاستعمارية ، وأرزاقهم من دهاء السياسات ومكر
الماكرين ، وشعوبهم من خيانة العملاء ، وانحرافات الزعماء !!

والمقدمات اليوم قربت جدا من النتائج ، فالأيام دول ، والحروب
سجال « وتلك الأيام نداؤها بين الناس » !!

حركات الشعوب وثوراتها تقض مضاجع الأمم الكبرى ،
وتزلزل عروش الظلم ، وتعاون على الصيحة المدوية ، والبطش القوي
بالمستعمر الجبار العفيد !!

ولئن نادى البطون اليوم بالخبز ، والأيدي العاطلة بالعمل ،
والمصانع بالآلات والوقود ! فهذا من حقها مادامت في حاجة إليها .

أما في الغد ، فستجد البطون ما يملؤها ، وستجد الأيدي ما يشغلها ،
وحينئذ ستتجه الحركات الثورية بكل قوتها وسواعدها . . . إلى غذاء
الفكر ، وسلام القلب ، وإظهار العقيدة ، وإعلاء كلمة الله ، ورفع راية
الحق والفضيلة ، والعدل والإحسان !!

* * * *

وفي الإسلام فقط يجد العقل المغلول ما يوسع أفقه ، ويرشده إلى
طريقه السوي ؛ فينظر إلى السماء ليبتدى بنجمها ، ويخلق في الجو كما
يخلق الطير ليأتي بالنبأ اليقين ، ويمرث الأرض ليستخرج منها الحب
والعنب ، والبتروول والحديد ، ويغوص في البحر ليخرج منه اللؤلؤ
والمرجان ، ويجمع من هذا كله ثروة تغمر الكون وتملؤه بالخير العميم .

وفي الإسلام يجد الفكر المشلول النور الباعث ، والاشعة الممدة ،
فيبحث في اللغة وفروعها ، والأدب وفنونه ، والعلوم ومحيطاتها ،
والنفس وآفاقها ، والطبيعة وقوانينها ، والأرض وجاذبيتها ، والبشر
وأجناسهم ، ليجمع من ذلك كله ثروة فكرية تتخضم أضخم العقول ،
وتشمل أركد الأفكار !

وفي الإسلام تجد العواطف المسمورة بالشهوة ، ما يهـذب
غرائزها ، ويسمو بها إلى المثالية الممكنة ، فتقطر رحمة وأمنا ، وتفيض
برا وبشراً . . .

وفي الإسلام تجد الانسانية الوالغة في الانم ، المدجلة في الظلمة ،
ما يعقل مجانينها ، وما يهدي ساداتها وكبراءها الذين أضلونا السبيلا !

إن ساحة الإسلام كالحجة البيضاء ، ليملأ كنهارها ، لا عوج
فيها ولا أمت ، ولا ظلام ولا غبش . . . يأمن فيها الخائف ، ويرتجف
عندها الطفافة ، ويسعد فيها الضعفاء ، ويأرز إليها العدل ، ويستقر
حولها الأمن والأمان .

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ،
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » . « الروم »

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » . « البقرة » .
ونحن — وإن تخلفنا فيما مضى في قوى البخار والكهرباء —
فلا نأسى كثيرا ، لأننا رأينا الذين يملكون هذه القوى الهائلة ،
يفكرون بعقول الأطفال . . .

وملك هذه القوى الذرية في الامكان ، لأن العقل العربي أذكي
من العقل الغربي ، والساعد العربي أقوى من الساعد الغربي ، والجو
العربي أكثر تفتحاً وتألقاً من الجو الغربي . . .

ونزيد على أصحاب الحضارات المادية أننا نملك عقيدة تزلزل
أضخم الدول وتفجر أخطر البراكين ، وقرأنا لو أنزل على جبل لرأيت
خاشعا متصدعا من خشية الله ، وهديا محمديا منشورا في كتب السنة ،
تبينا للناس ، وتفصيلا لحكم الكتاب ، وتاريخا تعقم أم التاريخ أن
تلد تاريخا مثله ، ذلك التاريخ الذي يجري فيه الدم الساخن بعد
أربعة عشر قرنا ؛ وينفث في ذويه الطموح والشموخ !

قال عمر :

« إن الله أعزكم بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره أذلكم الله » .
ويوم أن كان « المصحف الوحيد » في بيت حفصة زوج النبي

ﷺ هو المرجع الوحيد للمسلمين حينذاك ، كان للقرآن الجولة المشهودة
والصوت المدوي ، والشريعة النافذة !

فكان الظالم يجد في القرآن ما يخيفه فيرتعد ، وكان المظلوم
يجد في القرآن ما يؤمنه على حقه فيطمئن ، وكان صحابة رسول الله هم
الصحائف المتحركة ، والسيوف الحامى ، والدرع الواقى ، والسلاح البتار ،
لكل عاد على الحدود ، أو منتهك للحرمات ، أو متكبر جبار . . .
« تلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه (١) » . .

والكلمة المصطفاة هنا أن دورة الفلك تدور لنا لا علينا !
وملامح الفجر الصادق تبشر بانقضاء الليل ، وإسفار الصبح ،
وبزوغ الشمس وضحي النهار ! !

والذي ينبغي عمله أن يقدر هذا الجيل ما وافقه به القدر ، وما
رصده له الزمن ! !

على العلماء مسئولية كبيرة ، وعلى الحكومات واجبات ضخمة
وأعباء كثيرة ! وعلى الشعوب أن تضاعف الجهود ولا تفلت في انتظار
النتائج . . . فبناء الأجداد في تاريخ الأمم لا يكون في يوم وليلة . . .
« وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٢) .

(١) الطلاق

(٢) الرعد

والدعوة الإسلامية آتت أكلها الطيب في زمن وجزير بالمدينة ،
لأنها عاشت قبل ذلك ثلاث عشرة سنة تقريباً ، تهيباً لنفسها ، وتستعد
لمثل هذا اليوم الموعود .

وحركة صلاح الدين الأيوبي صادفها النجاح الباهر ، لأن
الشعوب العربية كانت تغلي وقتها من ضعف الخلفاء وانقسامهم ،
وفساد الخاشية ، وتفرق الأمة إلى شيع وأحزاب ، فلما وجد الشعب
العربي القائد الأمين أسلس له القياد ، وفتح له القلوب والبلاد ،
وهبوا جميعاً لتحرير فلسطين فحرروها .

ونحن الآن نمر بنفس الدور . . . مع فارق مهم ، هو أن توحد
الأمة العربية فيما مضى كان يتم في زمن ممدود ، أما اليوم فسيتم إن
شاء الله في زمن محدود ! ! لأن الدوافع إليه أقوى من أى وقت ، ولأن
اليقظة على أشدها . . . !

وطوفان اليقظة أوبركانها ، سيمصق بقوى الشر والاحاد والانحلال ،
وسيمصق الجواهر وأمل الخير أن تعمل ، ودعاة الإصلاح أن يشيدوا ويبنوا ! !
والتطور الطبيعي لنهضاتنا ويقظتنا هو الذي سيجعلنا نخرج من
الحقل والمصنع ، إلى بيوت الله ، ومن بيوت الله إلى المصنع والحقل .
فنحن لا نصلح إلا بالدين ، ولا نحيا إلا به ، وهل يعيش سمك
من غير ماء ، وأحياء من غير هوا !

سيتحدد معنى الحرية تحديدا دقيقا . . . فتنتطلق حرية الفكر ،
وتتقيد حرية الشهوة !

ستختفي الأفلام الماجنة ، والأغنية الخليعة ، ويبرز إلى الوجود
ما يناسب الأمة العربية وتقاليدها الإسلامية !!

لست بحالم يا إخوة الإسلام . . .

وتذكروا قول الله عز وجل :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي
الصالحون » . الأنبياء

والأرض هنا — وإن رأى الامام البيضاوى أنها الجنة —
بالنسبة لما قبلها ، فإن كثيراً من المفسرين يذهبون إلى أنها في
الدنيا . وذلك ما نستريح إليه !

وعد الحق لا يتخلف مادام هناك مؤمنون به . . .

والسؤال الآن :

من أولى منا بقيادة هذا الكوكب الأرضي ؟؟

إن المسلمين هم أولى الناس . . . فتحركوا بإدعاة الإسلام !

المستقبل للإسلام يا عرب . . . والمستقبل للعرب أيها المسلمون !!

القاهرة

أحمد عبد الجواد الدومى

من التوراة والإنجيل

جاء في التوراة في السفر الخامس ثنية « ٣٣ » « ٢ » :

« أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران
ومعه ربوات الأطهار عن يمينه » .

قال ابن قيم الجوزية في كتابه « هداية الحيارى في أجوبة اليهود
والنصارى » :

« وهذه إشارة متضمنة للنبوات الثلاث : نبوة موسى ، ونبوة
عيسى ، ونبوة محمد » . فجيئته من سيناء ، وهو الجبل الذى كلم
الله عليه موسى ونبأه عليه ، إخبار عن نبوته ، وتجليه من ساعير هو
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساعير : قرية معروفة هناك إلى اليوم ،
وهذه إشارة بنبوة المسيح ، وفاران هى مكة التى ظهر فيها النبي محمد
صلى الله عليه وسلم » .

ولقد جاء في قرآننا العظيم نص مشابه حيث يقول الله عز وجل :

« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

ودليلنا على أن فاران هى مكة أن التوراة ذكرت عن اسماعيل

أنه فارق أباه وسكن في بَرية فاران . . . وأن نبوة من ذريته تظهر
وتملأ السهل والجبل .

وكانت هذه الكلمات تحدد معالم النبوة المحمدية وتبشر بها
وتمهدها كما ذكر القرآن الكريم :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم
في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم » . (الأعراف)

فلما ذهب موسى إلى ربه ، وجاء عيسى من بعده ، جمع الحوار بين
من حوله وقال لهم :

« أنا أذهب ، وسيأتيكم « الفارقليط » « روح الحق » لا يتكلم
من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له ، وهو يشهد عليّ »
وفي إنجيل يوحنا : « ١٦ — ٦ » :

« الفارقليط لا يجيء مالم أذهب ، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة
ويكملكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » .

وفي موضع آخر :

« ابن البشر ذاهب ، والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار
يفسر لكم كل شيء ، وهو يشهد لي كما شهدت له ، فإني أجيئكم بالأمثال
وهو يجيئكم بالتأويل » .

والفارقليط في العبرانية لفظ من ألفاظ الحمد ، فمعناه إما أجد أو
محمد أو محمود أو حامد وكلها أسماء لنبينا محمد ﷺ .

وقال ابن إسحاق :

قال المسيح عيسى بن مريم يصف رسول الله ﷺ في الإنجيل
وتقله فيما نقل يحنث الحوارى :

« من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم
صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن
بظروا عليها وظنوا أنهم يعزوني — يعلبوني — ولكن لا بد من أن
تسم الكلمة التي في الناس ، إنهم أبغضوني مجانا ، أي باطلا ، فلو قد
جاء « المنحمننا » أي محمد في السريانية — هذا الذي يرسله الله إليكم
من عند الرب وروح القدس . هو الذي من عند الرب خرج ... فهو
شهيد علي وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معي ، في هذا قلت لكم
لكيلا لا تشكوا » .

وهناك حوادث مفردات من الرهبان والحنفاء وهم طائفة كانوا
يتعبدون على دين إبراهيم مع انتشار الجاهلية وشدة الظلمات سبقت
عهد النبوة ونعتبرها أدلة مباشرة أو كالمباشرة على أن الأمم السابقة
لنبينا كانت تنتظر ميلاده ، وتعلم الإيمان به عن جبهة ويقين . وفي
كتب السيرة الشيء الكثير من هذه الحوادث ...

وقد ذكرنا في كتابنا « الدين والانسان » حادثة سلمان الفارسي
الأصبهاني وطوافه بالرهبان والأساقفة في عمورية ونصيبين ، وهناك ألقينا
أضواء كافية على الحالة قبل البعثة ..

ونذكر هنا خبراً طريفاً لسطيح الراهب !!

روى ابن عباس قال :

خلق الله سطيحاً لهما على وضم ، ولم يكن فيه عظم ولا عصب
إلا الجمجمة والعنق والكفين ، يطوى من رجليه كما يطوى الثوب ولم
يكن فيه شيء يتحرك سوى لسانه ، ثم قال : فلما أتى به إلى مكة تلقاه
أربعة نفر من قريش :

عبد مناف ، وعبد شمس ، ابن قصى ، والأحوص بن فهر
وعقيل بن أبي وقاص .. فتكلموا معه ، ثم قال لهم :

« والبالغ الأحد ، ليخرجن من هذا البلد ، نبي مهتد ، يهدي إلى الرشاد ،
يرفض يعوق والفند ؛ يبرأ من عبادة العدد ، ويعبد رباً انفراداً ، ثم
يتوفاه الله محمداً ، ومن الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي
أمره الصديق ، إذا قال صدق ، وفي الحقوق لا غرق ولا تزق ، ثم يلي
أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، لا يترك قول الرجل الثقيف ، قد
أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف ، ثم يلي أمره راعياً لأمره مجرباً ،
فيجمع الناس جموعاً وعصبا ، فيقتلونهم نعمة عليه وغضباً ، ثم يلي بعده
الناصر ، يخالط الرأي بأمر الناكب ، يظهر في الأرض العساكر ،
ثم يلي بعدهم ملوك ، لاشك أن الدم فيهم مسفوك » .

ولا يهمنى من هذه النبوة سجع الكهانة الذى فيها ؛ ولا غرابة
الكلمات التى احتوتها ، ولا تعمقها فى الأحداث التى تلت عصر النبى
ﷺ ونفاذ صاحبها . . . وتصديق الواقع له .

إنما الذى يهمنى هنا هو كلامه عن رسول الله ، وهذا لا يكون
إلا من كتاب من كتب السماء !!

فإذا انضم إلى التنقيب فى الكتب فكر منبر ، وعاطفة صادقة ،
طلع علينا إنسان مهذب ، ورجل ينقط نضجاً وحيوية وسلاماً .
ذاك هو زيد بن عمرو بن نفيل الذى طلب الهدى فى مكة ،

ويثرب والشام ، وكان يؤذيه وأد البنت ، وهتك العرض ، وسفك
الدم ، والاستخفاف بالحرم .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل
يقول : يا معشر قريش ، ما منكم أحد اليوم على دين إبراهيم ، وكان
يقول للرجل إذا أراد قتل ابنته : لا تقتلها إيدفعها إلي وأنا أكفلها
وأكفيك مؤنتها ، فإذا شئت قال : إن شئت فخذها .

هذا الإنسان الشفاف لا يطفى جذوته ببحر الجاهلية المسحور ،
ولا دمها المنشور بل يعيش عفيفا طاهر الذيل .

حدثنا عنه عامر بن ربيعة قال : قال لي زيد بن عمرو بن نفيل :
أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل عليه السلام من بني عبد المطلب ولا
أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك
يا عامر مدة ورأيت فآقرئه مني السلام وسأخبرك مانعته :

« هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله
لا تفارق عينيه حمرة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، واسمه أحمد وهذا
البلد مولده ومبعثه » ومات زيد وأقرأ عامر النبي السلام ، وحياء النبي
فقال بعد أن ترحم عليه : « قد رأيت في الجنة يسحب أذباله » .

هذه المفردات نسوقها إليك لتعلم أن النور وافد إليك من بعيد ،
ومطل عليك من قريب ، ومحيط بك من كل جانب ، ومشرق عليك
من كل فج .

وبعد خمسمائة وسبعين عاما تقريرا جالس بعض الحنفاء في بطحاء
مكة وكان يوم زينة وعيد ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله
ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم !

ما حجب نطيف به ! لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع !
يا قوم . التمسوا لأنفسكم دينا فإنكم والله ما أنتم على شيء !

وكان هذا السخط على الحال ، وهذه الشكوى من الكفر وظلامه ،
بشير الخير ، ومقدمة لظهور « النذير العريان » . (١)

وحبب إلى الصادق الأمين أن يتحنث في غار حراء . قال ابن
هشام : (٢)

تقول العرب : التحنث والتحنف : يريدون الحنيفية ، فيبدلون

(١) أطلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على نفسه هذه التسمية في
حديث له . ذكر ذلك ابن هشام في سيرته عندما تعرض لتفسير قوله تعالى : يا أيها
المدثر . ص ٣١١ ج ١

(٢) انظر ص ٢٥١ ح ١

الغاء من الثاء كما قالوا : جدف وجدث ، يريدون القبر . وقال آخرون :
التحدث أى البعد عن الحنث ، يعنى الإثم »

وكان من عادة رسول الله ﷺ هذا التحدث كلما جاء شهر رمضان .
فلما قرب موعد الكرامة الربانية لنبيه ولعباده ، استقبل السكون
الصامت هذه النبوة الهادية ، مثلما استقبلها السكون الناطق أو يزيد !

الحجر والشجر والمدر ، سبقوا البشر في الاعتراف بالرسالة المحمدية !
جاء في الجزء الأول من سيرة ابن هشام أن رسول الله ﷺ كان
إذا خرج لحاجته أبعد حتى يحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب
مكة و بطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال :
السلام عليك يا رسول الله ! ! فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن
يمينه وعن شماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجر ، فكث رسول
الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يبعث .

قال السهيلي : « والأظهر أن هذا التسليم حقيقة وليس مجازا وأن
يكون الله عز وجل أنطقها إنطاقا ، كما خلق الحنين في الجذع .. وليس
من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف ، الحياة والعلم والقدرة لأنه
صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض في قول الأكثرين .

ثم أذن الرسول بالإسلام ! !

الأذان بالإسلام

كان موقع مكة الجغرافي يؤهلها لأن تكون مصدر الإشعاع
والنور للعالم كله .

ذلك لأنها كانت ملتقى القوافل التجارية في رحلة الشتاء والصيف
ومجمع الحجاج في الجاهلية والإسلام .

وإذا كان للبيئة أثر هام في ميدان التربية الحديثة ، فإن للوراثة
والعوامل الجغرافية أثرا لا يقل عن الأول .

يضاف إلى ذلك أن العنصر العربى عنصر امتاز بالصبر والدأب
والفطنة وشدة الاحتمال .

وكان من حكمة الله عز وجل ، أنه اصطفى الخيار من الخيار ،
فأرسل إلى الناس كافة نبيه محمداً بشيرا ونذيرا ؛ وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا ، بعد أن آواه وهو يتيم ، وهداة وهو ضال ، وأغناه
وهو عائل .

وتفاعلت عوامل البيئة القاسية مع عنصر الوراثة النقي ، مع صلابة

الموقع الجغرافي ، في نفس نبينا محمد ﷺ . فانتفع بهذا كله في
دفاع الشباب ، وحنكة التجربة ، وخلوة الغار ؛ ومواجهة العالم بالنور
المبين ، والذكر الحكيم .

« قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم
إلى صراط مستقيم » . (١)

وكانت فترة الرسل قد طالت ، ومصاييح الأديان قد خفتت ،
وامبراطوريات الروم والفرس قد مرضت بمرض الشيخوخة الذي لا
برء منه إلا ببطره .

وكانت هذه المقدمات كلها إيذاناً بالبعث الجديد .

* * * *

وأذن الرسول في مكة بالإسلام ، فاضطربت أسباب الكفر الجاثم
في قارات الدنيا الخمس ، وتزازلت قواعده في بيزنطة وفارس كما تزازلت
الوثنية الزرادشتية والمناوية والمزدكية واللاتية والعزية زلزلة كبرى .
كان أول نداء للإسلام من فوق صخرة ، وكان في كلمات بسيطيات :

(١) سورة المائدة

« والله ليموتن كما تفامون ، ولتبعثن كما تستيقظون . وإنها لجنة أبداء
أولئنا أبداء » وأعلن النبي هذه الكلمات بعد أن أعلن أنه رسول الله إلى
الناس كافة .

وكان هياج وكان صياح . ودهش رسول الله من هذا الاستقبال
الغريب كما دهش عندما أخبره ورقة بن نوفل بإخراج قومه له فقال
« أخرجني هم ؟ » .

وقال أبو لهب : تبأ لك ألهذا جمعتنا ؟

وقال القرآن : تبأت يداً أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله
وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها
حبل من مسد .

وآمنت خديجة الزوج الوفي

وآمن على الصبي الرشيد

وآمن زيد بن حارثة المولى الحبيب

وآمن أبو بكر الصاحب الصديق

ثم تتابع المؤمنون على ندرة وفي خفية ، ولكن كل فرد فيهم كان
من الوزن الثقيل .

ومع كل مؤمن جديد كان ينزل بلاء ، وتصاب جارجة ،
ويصب ويل وعذاب على الفرد والمجموع ، ولكن واحدا منهم لم
يفكر في التردد أو الرجوع . وهاك مشهدا من مشاهد التعذيب :

على أرض مكة الحبيبة ، ووسط الصخب والضجيج ، وفي زحمة
الحياة المملوءة بالحركة والنشاط ، كان رجل وامرأة وفتى ، موثقين
وثاقا غليظا ، يرسفون في الأصفاد ، ويمنعون من أى حركة ممكنة ،
أو آهة مريحة ! لا يأتيهم إلا زاد معين وطعام مخصوص . . .

فوجبتهم : ضرب مبرح ، وتسفيه محرج ، وركل بالأرجل ، وجه
النهار وآخره !!

وكان الرجل الشيخ الكبير ، وكانت المرأة الشيخة المسكينة
وكان الفتى الناهض المتوثب . . لا يؤذيهم ما هم فيه من مسغبة أو متربة ،
ولا ما هم عليه من شوك ونار ، ولا ما يجرى حولهم من تسفيه وتعنيف !
إنما الذى كان يفطر أ كبادهم ، ويجعلهم يتميزون من الغيظ
أن يقال لهم :

اكفروا بالله الذى آمنتم به

واهجروا محمداً الذى عرفتموه

وذروا الإسلام الذى اعتنقتموه !

« وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك
السموات والأرض ، والله على كل شىء شهيد » البروج .

كل شىء قد يفرض إلا الإيمان ، فلا ينبعث إلا من داخل القلب ،
وكل شىء قد يمكن نزع ، إلا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ! !
ولذلك كان يلقي هؤلاء الثلاثة العذاب فى صبر واحتساب ، وفى
سبيل العقيدة المؤمنة يتحطم كل صخر ، وتهون كل شدة ، ويتفتت
أى خطب مهما كان ثقیل الوطأة ، نارى المزاج ! !

كان الشيخ هو ياسر بن عامر بن مالك لعبسى وكانت الشيخة
هى سمية .. وكان الفتى هو عمار بن ياسر ! !

ولذلك كان الشيخ يألم لنفسه ، ويألم لزوجته التى لا يمكنه
تخليصها ، ويألم آخر الأمر لولده . . . وقد وقف أو قعد يتحتمل
العذاب معه ولا يستطيع الزود عنه .

ما أصعب هذا الموقف على الرجل الجلد . . . فما بالك
بالشيخ الضعيف ؟

ويعر رسول الله ﷺ وهم في هذا الموقف المغلول ، والعذاب
المصبوب . ويحزن القلب الكبير ، ويرى ياسر هذا الحزن يرتسم على
جبين النبوة ، فيحاول أن يخفف من أحزان النبي وأن يسرى عنه ،
فينطق هذه الكلمة الخالدة الخائفة :

« الدهر هكذا يا رسول الله »

قالها الشيخ مقطعة الحروف والكلمات وأظنها كانت هكذا أو
قريبة من هذا :

الد . . الدهر . . الدهر ه . . الدهر هكذا . . الدهر هكذا يا . .
الدهر هكذا يا رسول الله .

لم يستطع ياسر أن ينطق بها جملة واحدة لأن التعذيب كان أقوى
من جسمه .

وقال النبي :

صبرا آل يا سر فمعدكم الجنة .

وطمنت سمية فماتت ، ولحق بها زوجها المؤمن ، وتعانقا في الجنة
بعد أن حرم عليهما الكفر والبغى أن يتعانقا في الدنيا .. وعاش عمار
ليعذب ويهين من كان له ولأبيه وأمه معذبا ومهينا .

هل يعيش الانسان من غير عقيدة ؟ ؟

إن الانسان من غير عقيدة كهف مظلم ، ومغارة قائمة ، وربما
بارد ، أو جراد جامد ؟ وهل هناك عقيدة صالحة غير عقيدة الاسلام ؟ ؟

يقول الفيلسوف الغربي « جب » : في كتابه . . حينما يكون
الاسلام « ليس هناك ديانة غير ديانة الاسلام يمكن أن تنجح
نجاحا باهرا في تألف الاجناس المتنافرة في جهة واحدة أساسها المساواة »
وكيف يفرض المؤمن في عقيدته وهي الهدية السماوية ، والنور
الرباني ، والرشد الذي يأخذ بيدك إلى مدارج الرق في الدنيا
والآخرة !!

فلا عجب أن يصبر شيخنا المؤمن ، وشيختنا المؤمنة ، وفقانا
الفاهض الغض — على هذا العذاب والبلاء !!

إن التعذيب قد يكوى الجسم ، ويبهز اللحم ويشوه الظاهر ..
أما الباطن الذي تسكن فيه العقيدة ، ونور الله ، فلا يصل إليه ظلام
الكفر ، ولا عذابه وعنته ، ولا طغيانه وجحوده !!

والنفس تطلق على اللطيفة المودعة في الجسم ، وكذلك الروح
لطيفة مودعة فيه أيضا .. ويفرق علماء الصوفية بينهما بأن اللطيفة
الأولى ينبعث منها الشر ، والثانية ينبعث منها الخير .

كما يطلق علماء الصوفية أيضا على القلب أنه مركز المعرفة ، وعلى
السر أنه موضع المشاهدة أو الشهود !!

وكان من حكمة الله عز وجل أنه يحفظ دائما هذه اللطائف الشفافة
في عباده المؤمنين من سوء الحياة وكفران البغاة ، ولا يجعل عنصر
الحنّة يتسلط إلا بمقدار ما يذيب الشر المودع في لطيفة النفس ..
حتى تصبح خالية من كل شائبة ، صافية من كل كدرة .. وعندئذ
يأتي دور الشهود ، فيعيش المؤمن دائما .. في دائرة الخلود ..
ولقد وصلت أسرتنا المؤمنة المعذبة إلى هذا الدور فشاهدت ما عز لها
عن الشعور بالعذاب مثلما يعيش بعض المترفين اليوم في الأجواء
المكيفة فلا يحسون بما حولهم من لظى الهجير أو قارس الزمهرير .

* * * *

لم يكن هذا المشهد ، هو الوحيد من مشاهد البغى والاضطهاد ،
بل تبعته مشاهد أليمة ، ومواقف حزينة !!

وكان بكور إسلام أبي بكر رحمة بالضعفاء الذين دخلوا في الإسلام .
فقد أنقذ من العذاب : بلالا الحبشي وأمه حمامة ، وعامر بن فهيرة
وأم عبس أو عبيس ، بنى تيم ابن مرة ، وسمية بنت خياط والنهدية
وابنتها وجارية لبنى عدى .

ومن هؤلاء أيضا « زنيرة » التي عذبت حتى فقدت بصرها
فقيل لها : اللات أخذ بصرك منك ، فلو عدت إلى الكفر عاد إليك
بصرك ! قالت المؤمنة المبتلاة : لن أعود إلى الكفر بعد أن خلصني
الله منه . والله سبحانه هو الذي أخذ بصري ولو شاء لرده عليّ !!
وأصبح الصباح وهي ناضرة الوجه والقلب ، سليمة البصر والبصيرة .

قال أبو قحافة لولده أبي بكر : هلا أعتقت رجلا جلدا ينفعونك
في الحياة . ورد عليه ولده : إنما أريد ما أريد الله . وينزل القرآن :
« وسيجنّبها الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من
نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى » الليل .
وقف أبو بكر جزءا كبيرا من ماله لهذا الخير ، كما وقف جزءا
كبيرا جدا من لسانه للدعوة إلى الله .

والإسلام لا ينسى دفاعه عن رسول الله حين أرادت قريش قتله
يوم الزحمة فقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم : وكان هذا الدفاع في وقت يعز فيه الدفاع .. وأجابه النبي
ﷺ : إني بعثت إليهم بالذبح ، وانهزمت عزائم قريش دون ما تريد !
قال ابن إسحاق :

حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن عمرو

بن العاص قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثلهما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سغه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ؛ فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ، قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلهما فعرفت ذلك في وجه رسول الله ، ثم مر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلهما ، فوقف ثم قال : انسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا . قال : فانصرف رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسول

الله فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، فيقول : نعم ، أنا الذي أقول ، فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه . . فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربي الله ؛ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط . . قال ابن اسحاق : وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت : لقد رجع أبو بكر يوهض وقد صدعوا فرق رأسه مما جبدوه بلحيته ، وكان رجلا كثير الشعر .

كان في مكة صلاة تقام في الضحى ، لا تنكرها قريش ولا يتعرضون لمن يصلّيها . . . وكان يصلّيها النبي على دين أبيه إبراهيم ، فإذا صلى غير ذلك جلس على وزيد يرصدانه ، ولكن القرآن الذي كان يقرؤه النبي في الصلاة وغير الصلاة ، هو الذي يهيج العقاة البغاة . . . الزعماء منهم والسفهاء . . . وكان القرآن في هذه الفترة يحمل لهجة العنف والقوة ، لأنه كان السلاح الوحيد الذي يدافع عن الاسلام !!

نهى أبو جهل النبي عن الصلاة بجوار الكعبة ، فنزل القرآن : « رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، رأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، رأيت إن كذب وتولى . . ألم يعلم بأن الله يرى . .

كلا لئن لم ينته لنسقعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ،
سندع الزبانية ، كلا : لا تطعه واسجد واقترب !

وتعرض الوليد بن المغيرة مرة للقرآن . . . فنزل القرآن
يجلجل : « ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً ، وبين
شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد . كلا . إنه كان
لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ،
ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ،
فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سألصيه
سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة
عشر ! ! المدثر .

وقالت قريش مجتمعة : لا بعث ! فنزل القرآن : « زعم الذين
كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير » التغابن :

وجاء أبي بن خلف بعظم رم وقال : أنزع يا محمد أن ربك يحيي
هذه العظم .. قال الرسول : نعم : يبعثك ويدخلك النار اونزل القرآن :
« وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ،
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .

وجاءت قريش مرة للنبي وقالت له : بلغنا أن واحداً بالقيامة اسمه
الرحمن هو الذي يعلمك ، فنزل القرآن :

« كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم
الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربي لا إله إلا هو
عليه توكلت واليه متاب » الرعد

بمثل هذه الآيات كان يجلجل صوت النبي صلى الله عليه وسلم ويرد
عليهم اتهامهم له بالسحر والكهانة والمشى في الأسواق ويسفه أحلامهم
ويزيدهم ألماً على آلامهم .

وزادت الصولة الحمدية في مكة حينما تحدى قريشا جمعا أن يأتوا
بمثل القرآن أو عشر سور أو سورة منه فمجزوا مشدوهين ، وصمتوا
خامسين .

تحدث القرآن في مكة عما يحيط بالدين ونبيه ومعتنقيه من أحداث
تشبها للفتاد ، وتهدة للروع ، وإيقاظاً للشعورا ووسعت الحبشة من
ضاق صدره بأذي الكفار في رحابة مشكورة ، وضيافة موفورة .
وانفردت سور وطالت آيات وتسابعت في الكلام عن القيامة

والحفاة والقارعة والنبأ العظيم ، وما يتبع ذلك من الميزان
والحساب ، والصراط والكتاب !

ورد الدفاع عن النبي والقرآن والتشريع المبني في اثنين وتسعين
من سور القرآن الكريم ، وما بقي بعد ذلك فقد توالى نزوله بعد
الهجرة بالمدينة المنورة وما حولها من مواقع الحرب وأماكن الجهاد !

ولولا فضل من الله ورحمة ، ولولا ثبات من المؤمنين الأولين
ولولا الدفاع السماوي في أبلى أسلوب وأفصح ، ولولا المظاهرات السلمية
التي هزت أرجاء مكة بالتكبير والتوحيد ، ولولا ثبات النبي ومشاربته
لسكان للإسلام شأن آخر . ولانهزمت الدعوة في مهبها كما انهزمت
دعوات آخر . ولكن الله عز وجل أراد إتمام نوره ، وإظهار دينه
ولو كره الكافرون .

وزحف نور الإسلام إلى يثرب ليجدد نشاطه ، ويستأنف
الحركة ، ويرد الكيد ، ويرفع منار التشريع والعمران والإصلاح ..
« إن الله يدافع عن الذين آمنوا — وإن الله لا يحب كل خـوآن
كفور » « الحج »

وتصف أم معبد هذا النور الجسم في شخص نبينا محمد ﷺ
فتقول كما جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد : « رأيت رجلاً ظاهراً

الوضاءة ، متبليج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبته نجلة « ضخم بطن » ولم
تزر به صملة ، وسيم قسيم ، في عينيه دمع ، وفي أشفاره وطف ، وفي
صوته صجل ، أحور أ كحل ، أزج أقرن (١) ، شديد سواد الشعر ، وفي
عنقه سطع « ارتفاع » وفي لحيته كثافة ؛ إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا
تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقته خرزات نظم يتحدرن ، حلو
المنطق ، فصل لا نذر ولا هذر ، أجهر الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلامهم
وأحسنهم من قريب ، ربة لانشؤه من طول ، ولا تقتحمه عين من
قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثـلاثة منظراً ، وأحسنهم
قدراً .. له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا
لأمره ، محفود محشود ؛ لا عابث ولا مفند .

وصفت أم معبد لزوجها « نبينا محمداً » ﷺ بهذا الوصف البليغ ،
فقال الزوج :

« هذا والله صاحب قر يش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ،
ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت
إلى ذلك سبيلاً !

(١) جاء وصف آخر لأم سلمة بأن حواجبه صلى الله عليه وسلم سوابغ في غير
قرن — قال المحققون : ووصف أم سلمة أصدق لأنها عاشت مع رسول الله ﷺ زوجها له .

وأذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير !
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ..
فهاجروا متجردين ، وتجردوا مهاجرين .. فتقابلوا مع إخوة لهم :
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. فتآخوا في الله واجتمعوا على
الله ، في مسجد بسيط المظهر أسس على تقوى من الله ورضوان .

ومن هذا المسجد رسمت سياسة الدنيا والدين ، وكان منه أذان الصلاة
والجهاد ، وفيه مقابلة الوفود وكتابة العهود ، فكان مجمع السلطتين :
التشريعية والتنفيذية .

ومن هذا المسجد تحرك جيوش سبع وعشرين غزوة ، كما تحرك
عدد كبير من السرايا والبعوث . وهالك أسماء الغزوات :

- | | |
|--------------------------|------------------------------|
| ١ - غزوة ودان أو الأبواء | ٣ - غزوة العشيرة من بطن ينبع |
| ٢ - » بسواط | ٤ - » بدر الأولى لطلب |
| | كرز بن جابر |
| ٥ - غزوة بدر الكبرى | ٨ - غزوة غطفان أو ذي أمر |
| ٦ - » بني سليم | ٩ - » بخران معدن بالحجاز |
| ٧ - » السويق | ١٠ - » أحد |

- | | |
|-----------------------|-----------------------|
| ١١ - غزوة جمراء الأسد | ١٦ - غزوة الخندق |
| ١٢ - » بني النضير | ١٧ - » بني قريظة |
| ١٣ - » ذات الرقاع | ١٨ - » بني الحيات |
| ١٤ - » بدر الآخرة | ١٩ - » ذي قرد |
| ١٥ - » دومة الجندل | ٢٠ - » بني المصطلق من |

خزاعة

٢١ - غزوة الحديبية المسماة بصلح الحديبية ، لأنه ﷺ كان لا يريد
قتالا ثم حدث ما أدى إلىبيعة الرضوان

- | | |
|--------------------|----------------|
| ٢٢ - غزوة خيبر | ٢٥ - غزوة حنين |
| ٢٣ - » عمرة القضاء | ٢٦ - » الطائف |
| ٢٤ - » فتح مكة | ٢٧ - » تبوك |

قاتل النبي في تسع غزوات هي :

بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخبير والفتح وحنين والطائف

وهالك أسماء السرايا

- | |
|---|
| ١ - عبدة بن الحارث - أسفل من ثنية المرة |
| ٢ - حمزة ابن عبد المطلب - ساحل البحر من ناحية العيص |
| ٣ - سعد بن أبي وقاص - الحزاز |

- ٤ - عبدالله بن جعش - نخلة
- ٥ - زيد بن حارثة - القردة
- ٦ - محمد بن مسلمة - كعب بن الاشرف
- ٧ - مرثد بن أبي مرثد - الرجيع
- ٨ - المنذر ابن عمرو - بئر معونة
- ٩ - أبي عبيدة بن الجراح - ذا القصة
- ١٠ - عمر بن الخطاب - أرض بني عامر
- ١١ - علي بن أبي طالب - اليمن
- ١٢ - غالب بن عبد الله السكابي - السكيد ، لإصابة بني ملوَح
- ١٣ - زيد بن حارثة إلى جذام
- ١٤ - زيد بن حارثة - بني فزارة
- ١٥ - عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام
- ١٦ - عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان الهذلي
- ١٧ - عيينة بن حصن - بني العنبر من بني تميم
- ١٨ - غالب بن عبد الله - أرض بني مرة
- ١٩ - عمرو بن العاص - ذات السلاسل
- ٢٠ - ابن أبي حدرد - بطن إضم لقتل عامر بن الأضبط الأشجعي .

- ٢١ - ابن أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي
 - ٢٢ - عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
 - ٢٣ - أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر
 - ٢٤ - بعث عمرو بن أمية المضمرى لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه
 - ٢٥ - زيد بن حارثة إلى مدين
 - ٢٦ - سالم بن عمير لقتل أبي عفاك
 - ٢٧ - عمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان
 - ٢٨ - علقمة بن مجزز
 - ٢٩ - سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا
 - ٣٠ - بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
- واتهم رسول الله ﷺ فرصة عام الوفود وأرسل كتباً إلى أمراء العرب وإلى ملوك الفرس والروم .
- وكانت كتبه تحمل الهدى ورجاء الإسلام في قوة وحزم وصراحة
- فمثلاً كتب إلى كسرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ^{الروم} ^{عز وجل} »
« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس : سلام على من اتبع »

الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلى
الناس كافة لينذر من كان حيا ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك منهم
الاريسين »

واعلمك ترى أن هذا الكتاب لم يحمل كلمة « أرجوك » ولا ما يشبهها ،
بل كان السهم الموجه من نبي الاسلام إلى صاحب التاج والصولجان .
وقد أحدث كتاب رسول الله إلى هرقل ضجة كبرى في الشام
كلها ، في عقل هرقل ووجدانه ، وفي عقول الرهبان وأفكارهم ، وحدثت
مشاورات وأصطدمت أفكار بأفكار وهاجت مشاعر وكاد هرقل
يملك زمام الفتنة لولا تدخل الشيطان .

وهناك حديث ذو شأن دار بين هرقل وأبي سفيان نعتبه من
الوثائق التاريخية الهامة التي تشهد لرسول الله وللإسلام والمسلمين .

روى البخاري عن ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب قال :
« كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ
قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول
الله لم نأمن ألا نجد أمناً ، فخرجت في نفر من قريش تجاراً إلى الشام
وكان وجه متجرنا منها غزوة ، فقد منها حين ظهر هرقل على ما كان

بأرضه من فارس وأخرجهم منها وانتزع له منهم صليبه الأعظم وكانوا
قد استلبوه إياه ، فلما بلغ ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ له وكانت
حصص منزله ، خرج منها يمشى على قدميه متشكراً لله حين رد عليه
مارد ليصلي في بيت المقدس ، تبسط له البسط ، وتلقى عليه الرياحين
فلما انتهى إلى إبلياء وقضى فيها صلاته ومعه بطارقه وأشراف الروم
أصبح ذات غداة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله
أقد أصبحت أيها الملك مهموماً الغداة ، قال : أجل . أريت في هذه الليلة
أن ملك الختان ظاهر ، قالوا له : أيها الملك ! لا نعلم أمة تختن إلا يهود
وهم في سلطانك وتحت يدك فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في
بلادك فمره فليضرب أعناق كل من تحت يديك من يهود ، واسترح
من هذا الهم .

فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه ، إذ أتاه رسول صاحب
بصرى برجل من العرب يقوده ، وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها
فقال : أيها الملك : إن هذا الرجل من أهل الشام والابل ، يحدث عن أمر
حدث ببلاد عجب ، فسله عنه ، فلما انتهى إلى هرقل صاحب بصرى
قال هرقل لترجمانه : سل ما كان هذا الحدث الذي حدث ببلاد ، فسأله ،
فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي ، قد تبعه ناس وصدقوه

وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ، فتركهم على ذلك . فلما أخبر الخبر قال : جردوه فإذا هو مختون . فقال هرقل هذا والله الذي رأيت ، لا ما تقولون . أعطوه ثوبه . ثم قال لصاحب شرطته : قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى أتيني برجل من قوم هذا الرجل .

قال أبو سفيان : فوالله إنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته ، فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : انطلقوا بنا إلى الملك . فانطلقنا معه ، فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا نعم . قال : أيكم أمس به رحماً ؟ قال أبو سفيان : أنا . فقال : أدنه . فأقعدني بين يديه ، وأقعد أصحابي خلفي ، ثم قال : إني سأسأله فإن كذب فردوا عليه . فوالله لو كذبت ما ردوا علي ؛ ولكني كنت امرأ سيداً أتكرم من الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبت أنه يحفظوا على ذلك ، ثم تحدثوا به عني ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج من بين أظهركم يدعي ما يدعي . قال : فجعلت أزهد له شأنه ، وأصغر له أمره وأقول له : أيها الملك : ما يهلك من أمره ؟ إن شأنه دون ما يبلغك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ؛ ثم قال : أنبئني عما أسألك عنه من شأنه ! كيف نسبه

فيكم ؟ قلت محض من أوساط أنسابنا ! قال : هل كان أحد من أهل بيته يقول مثلاً يقوله فهو يشبه به ؟ قلت : لا . قال : فهل كان فيكم له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت لا . قال فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال فأخبرني عن تبعه أحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : ما تبعه رجل يفارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه قلت : سجال يدال علينا وندال عليه . قال : هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أغمره فيه غيرها . قلت : لا . ونحن منه في هدنة ولا نأمن غدرة فوالله ما التفت إليها مني .

ثم كرر على الحديث قال : سألتك كيف نسبه فيكم فزعمت أنه محض من أوساطكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه . لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول قوله فهو يشبه به فزعمت أن لا . وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عن يتبعه : أحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه

فزعمت ألا يتبعه أحد فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً وتخرج منه . وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا . فأن كنت صدقتني إيمان على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أنى عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك

قال أبو سفيان : فقامت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : أى عباد الله لقد أمر بن أبي كبشة ، أصبح ملوك بني الأصفر بها بونه في سلطانهم بالشام .

وفي تاريخ الطبري أن هرقل جمع قومه وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو التنازل عن أرض سورية والاكتفاء ببقية الشام ، فأبى قومه فرحل هرقل من سورية إلى القسطنطينية وقال لها : السلام عليك أرض سوريا نسليم الوداع !! وكان السلام سلام وداع .

كان لا بد للإسلام أن ينتشر ويملاً الآفاق ، لأن خصائصه تحمل هذه القوة وتدفع بها دائماً إلى الأمام . .

إنه يحمل القوة الذاتية في كتابه ، والقوة الذاتية في نبيه ، والكفاءات الفاعلة في دعائه وأبنائه ، والسمو العظيم والشمول الكبير في مبادئه ودعائه .

وهنا كلمة لا بد أن نقولها :

لقد نزع إلى بلاد العرب من قبل يهود ومسيحيون ، واستوطنوا هناك عشرات السنين ، واتخذوا بعض القبائل مستعمرات لهم . ومع ذلك فلم يكن هناك أثر يذكر لدعاة اليهود والنصارى إبان هذا الزمن الطويل .

واقدم وصلت الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية إلى ما وصلت إليه ، مع الحروب الدفاعية ، والسررايا والبعوت . والعام السادس الهجري وحده خير شاهد على أن فترة السلم البسيطة كانت من أعظم الفتوحات . . ألم يأت بعدها الفتح المبين ؟ ؟

كل هذا يزيدنا تشبهاً بديننا ، وتعمقاً فيه .

وفي المدينة كمل التشريع الإسلامي وأرسيت قواعده ووضحت معالمه وخطوطه .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) .

فنزلات مراسيم الحرب وآداب العهود وكيفية الصلاة في الحرب وكيف تقسم الغنيمة والفى وغير ذلك مما لا يتسع لذكره المقام .

(١) سورة المائدة

وتوج هذا التشريع كله بالآية المحكمة الكريمة :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ؛ واتقوا الله ،
إن الله شديد العقاب » (١) .

ولا مانع أن نسير بخطى واسعة حول الفتوحات الإسلامية ،
ونطوف محلقين في هذه الأجواء المكشوفة ، والأكوان المعمورة . !!

الزحف المقدس

أعلن نبي الإسلام صلوات الله وتسليماته عليه في حديث له أن هذا
الدين يظهر حتى يجاوز البحار ، وحتى يخاض بالخييل في سبيل الله
تبارك وتعالى .

وملأ هذا الحديث أحلام صحابته ، واعتبرا عواطفهم ومشاعرهم ،
فوقفوا أنفسهم وأموالهم على هذا الفتح العاجل . وذلك الزحف
المقدس .

فلما انفصلت الزكاة عن الصلاة كانت الغضبة البكرية وحروب
الردة وسارت الكتائب ، وتلتها الأمداد ، حتى استقر الأمر ، والتأم شمل
الأركان ، وساد الإسلام أنحاء الجزيرة العربية من جديد ، بعد أن
زلزلت قلوب الكبار من المهاجرين والأنصار !

ومع ذلك سَير أبو بكر الجيش المؤمن الذي يقوده أسامة إلى تخوم
البلقاء والدوم بمشارف الشام ، وسار وهو الخليفة في الركب وقال له
القائد : إما أن أنزل وإما أن تركب ، فقال الخليفة : والله لا نزلت

ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ! ثم أوصى الجيش بهذه الوصايا :

« لا تخونوا ولا تضلوا ، ولا تغدروا ، ولا تثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كمل ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها فاذكروا اسم الله عليه ، اندفعوا باسم الله .

واندفعت الجيوش المؤمنة تنقب الأرض ؛ وتفتح القلوب ، وتمهد الطريق لعدالة السماء ، وحكم السماء .

سار جيش بقيادة خالد بن الوليد لغزو بلاد الفرس من « الإبله » نهر الهند .

وسارت جيوش أخرى لقتال الروم بقيادة عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة .

وتم في عهد الخلفاء الراشدين فتح فارس والشام والقوقاز ومصر وطرابلس .

وفي عهد الدولة الأموية عرضت الفتوح وطالت ، فامتدت إلى تونس والجزائر والمغرب والأندلس .

والجدير بالذكر هنا أن المتتبع لهذه الفتوحات يجد أن العرب قد لا قوا كثيراً من المشقات والمتاعب . . خصوصاً في حرب البربر . . وما أن جاءت سنة ٨٤ هـ حتى تغلب المسلمون ، ودان البربر جميعاً بهذه العقيدة ، فاهتزت مشاعرهم ، وأصبحوا جنوداً تحت لوائه حتى قيل : إن السبعة آلاف مسلم الذين فتحوا أسبانيا كانوا هم وقائدهم طارق بن زياد من هؤلاء البربر !

ومن أسبانيا أشرف الإسلام على أوروبا وجذب إليه كثيراً من البلاد الكاثوليكية ، وكانت الدولة المسلمة هناك حصناً عظيماً للإسلام .

ودخل الإسلام بلاد النوبة . . وهناك تزوج الفاتحون من قبائل العرب وأنسلوا ، وبنوا المساجد ، وشيدوا عمراناً إسلامياً على أوسع نطاق .

ودخل الإسلام الحبشة على يد المهاجرين الأولين . . ثم توسعت الدعوة على يد أبي عبد الله محمد الداعي إذ التف حوله ما يقرب من مائتي ألف مسلم وقاتلوا حاكم أمهره . . وزاد انتشار الإسلام حتى عمّ ثلث الأحباش تقريباً .

وامتد التبشير بالاسلام في أفريقيا عن طريق المغاربة وسكان الصحراء . . وكانت قبيلتنا ملتونة وجداله من بطون صنهاجة من أشد قبائل البربر تحمسا للاسلام وأكثرهم رغبة في نشره بين الوثنيين من سكان السودان ونيجيريا .

وكان ليوسف بن تاشفين ١٠٦٢ م والمرابطين يد طولى في نشر الإسلام .

وتوالت الفتوحات الإسلامية مصحوبة بأخلاق الإسلام، فكانت الأمم تعتنقه على السمعة الحسنة ، والهدى المنتشر . . ويكاد يكون السودان جميعه قد دخل في الإسلام بمناطقه الشاسعة ، وآفاقه الممتدة ! وقد انتشر الإسلام بالطرق الصوفية انتشارا كبيرا في الفترة ما بين ١٧٥٠ - ١٩٠١ م ، لأن هذه الطرق استطاعت أن تقاوم الدعاية التبشيرية ضد الإسلام ، وكان أهم هذه الطرق هي : متصوفة المغرب ومراكش ، والقادرية — أتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة ١١٦٦ ، والتيجانية أتباع الشيخ أحمد بن محمد التيجاني المتوفى سنة ١٧٨٢ ، والسفوية أتباع الشيخ محمد بن علي السنوسي .

فالحق أن هذه الطرق تعاونت على فتح بلاد الأردن بجهة السنجار ، والكونغو الفرنسي ، والبلاد المجاورة لبحيرة تشاد ، واداي وبرونو وكردفان وأوغندا . . كما كان التجار المسلمون بحسن معاملاتهم من الأسباب القوية لانتشار الإسلام !

هكذا فتحت العقيدة المتوهجة الطريق لها في جميع بلاد العالم ، في سرعة وقوة . . ولم يحمل المسلمون السيف إلا مضطرين .

وكانت أخلاقنا بعد الفتح دليلا قويا على أن الإسلام — دين العالم — من عند الله .

ملكنا فكان العدل مناسجية . . فلما ملكتم سال بالدم أبطح وحلتم قتل الأسارى وطالما . . غدونا على الأسرى نمن ونصفح فبسبكم هذا التفاوت بيننا . . فكل إناء بالذى فيه ينضح

وتعجب يا أخى المسلم : لماذا انكشيت هذه القوة العريضة ، وطوت يديها بعد أن كانتا مبسوطتين . . ! !

ومسنرى أسباب ذلك في الفصل القادم

لماذا نتخلف؟

أسباب التخلف كثيرة ، وجذورها عميقة !

فالسكيد للإسلام لم ينقطع منذ ظهر على الأرض ، ولن ينقطع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولا يسعنا هنا إحصاء دقيق لهذه الأسباب ، أو ترتيب لها حسب أهميتها ، فكلها يتبع بعضها بعضاً !

والذي يجب أن نبرزه هنا أن التخلف لم يكن لاعتلال في طبيعة الإسلام كما يزعم المستشرقون . . وتاريخنا الأبيض خير دليل على ذلك .

وكذلك نحن نرى أن هذا التخلف لم ينشأ لطبيعة المسلم المعاصر ، فالطبائع القديمة والحديثة متشابهة . . والخصائص الدفينة موجودة ، والخامات لا تنتظر إلا من يصنع منها الأبطال ، ويخرج منها الرجال !
المسلمون في عهد الوليد تعلقوا بالبناء والعمران ، لأن الجو العام كان جو بناء وعمران ، وهم أنفسهم في عهد سليمان تعلقوا بشهوة البطون وإشباع الغرائز ، لأن الجو العام كان يتبع ذلك .

فلما جاء عمر بن عبد العزيز كان المسلم يقول لأخيه : ما وردك اللولة ولم قرأت من القرآن ؟

والذين تعلقوا بالبناء هم الذين لعبت بهم الشهوات ، ثم هم الذين تبدلوا وأصبحوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار .

ومثل آخر : المسلمون في العهد الأخير للخلفاء الفاطميين كانوا أشبه بجسم مريض ينخر فيه السوس ، فكانت عزائمهم منحلة ، وقواهم خائرة ، وعقولهم راكدة . فلما جاء صلاح الدين ، انطلقت القوة الحبيسة ، واشتعلت العاطفة الراكدة ، وطالبت الأمة العربية بتحرير فلسطين ، وكانت موقعة حطين . وقبيل سنوات كان المصريون لا يشعرون شعوراً مؤكداً بأنهم عرب ، بل كان شعورهم بالفرعونية ، أقوى من الشعور بالعربية ، ولكننا الآن وبعد الثورة نجد أنفسنا جزءاً فعلياً من الأمة العربية ، بل القلب النابض ، والشريان المهم !
والناس هم الناس . ولكن وجد المحرك . . وجد جهاز الإرسال القوي . . فتفاعل مع جهاز الاستقبال الصالح كل الصلاحية !

فما هي أسباب التخلف إذا ؟

إنها طارئة علينا ، ومدسوسة في أفكارنا وعقائدنا وتقاليدها .

وهي ليست حديثة العهد ، ولا سطحية الشكل . . بل هي مدسوسة
ومحكمة التدبير .. من بعيد !

طوائف ثلاث حاكوا الاسلام خيوطا قوية متصلة من المؤامرات
والدسائس !

(١) اليهود (٢) المنافقون

(٣) العناصر الأجنبية من الموالى وغيرهم .

هل تذكر مقتل عمر ؟

إن هذه الحادثة ليست عادية في تاريخ الإسلام والمسلمين !

وإن « فيروز » المكنى « أبا لؤلؤة » الجوسى ، لم يكن قاتلا
عاديا . . ولم يعيش في الجريمة بعقل بسيط ! .

إنه كان خيطا من خيوط مؤامرة كبرى تبدأ من خارج المدينة ،
من أرض الأكسرة والقبصرة ، إذ رأى هؤلاء الأقوام أن قوة العرب
فوق قوتهم ، فاستعملوا الحيلة والدهاء .

وصل المدينة الهرمزان أمير الأهواز وتظاهر بالإسلام في حادث
مشهور ، وجفينة ، وتظاهر بأنه يعلم المسلمين الكتابة . . والخائن الأثيم
أبو لؤلؤة الجوسى . . وتظاهر بأنه خادم أمين المغيرة بن شعبة .

وفكروا بعقول الدهاة ، والعرب لا يعرفون أنهم جواسيس ولا
أصحاب مؤامرات .. فالفطرة العربية أقرب إلى البراءة والسذاجة .

وانوى الجوسى في نفسه أمرا .. فكيف يصل إلى أمير المؤمنين
وهو مجوسى ماعون ؟ إنه يريد التأكد من شخص عمر — وإذا
فإنه قدم بشكوى ، فإن أمير المؤمنين لا يرد شاكيا .. وكانت هذه
الشكوى هي النافذة المسمومة !

وإلا .. فهل يعقل أن « تحبزا بسيطا من عمر » على أسوأ الفروض ،
كما تقول بعض التواريخ ، تجعل قاتلا يسمم خنجرا ، ويدخل المسجد ،
وينتظم الصفوف ، ثم ينتظر عمر حتى يكبر ؛ فيطعنه طعنات قاتلات ،
ثم يعمل خنجره في بقية الصفوف فيقتل سبعة من الصحابة ، ويصيب
سنة . . ثم بعد ذلك يطعن نفسه الطعنة القاتلة !

أهذا مجرم عادى يفكر بعقل سطحي ؟ أم هو مدفوع بقوى
أخرى ، ودسائس ومكائد ؟

إن أبا لؤلؤة كان يشكو من المغيرة وظلمه له .. فلماذا لا يجرؤ
القاتل لعمر على قتل المغيرة ؟

ثم ولماذا يلبس بالتنفيذ هذا الثوب القاتم ، وهذا الإحكام الغاشم ؟

إن اليهودية وعناصر الجوسمية لعبت هذا لعباً جباراً ، وكان لعبها على مستوى عال .. شأنها في كل وقت وحين !!

وكان هذا الحادث هو الباب الذي دخل منه — المسلمون إلى سراديب الفتنة ثم لم يخرجوا منه إلى اليوم !!

والنفاق لم يعرف بمكة ، لأنه لم يكن فيها إلا كفر صريح ، أو إيمان صحيح ، ولكنه عرف في المدينة بأشكال وألوان .. والمتنبع لحديث النفاق والمناقين في آيات القرآن يجد عجباً ، ويشاهد صوراً كالحلة المظهر ، ويلمح وجوها عليها غبرة ، ترهقها فترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة .. الأعراب الحفاة العراة .. الذين مكروا بالاسلام وأهله وغدروا بمبادئه وتعاليمه .

وكانت فتنة عثمان ومقتله ، وكانت فتنة علي ومقتله .. وكانت فتنة الحسين ومقتله ، وكانت فتنة ابن الزبير ومقتله . وهزت هذه الأحداث المتوالية أعصاب المسلمين وروعهم .. وزلزلتهم زلزالاً شديداً .

وانتشر العنصر الدخيل من البربر والموالي في الاسلام وتكلم الشعوب بما شاء لهم الدس والهوى أن يتكلموا ، وقربوا من أجهزة

التوجيه في البلاد ، وظهرت نياتهم وكشّرت أنيابهم ، وتنبيه بعض الخلفاء فصدّهم كما فعل الرشيد بالبرامكة ، وتركهم البعض الآخر يعيشون في الأرض فساداً .

وكل طائفة من هذه الطوائف .. تستطيع أن تصل إلى ما تريد على انفراد .. فما بالك حين تجمع خيوطها ، وتصل أسبابها ؟

(٢) وماذا تعرف عن ترف العباسيين ومن بعدهم من الحكام ؟ كم كان في بيت الخليفة من جوار حسان ، وخدم وحشم وغلمان ؟ إن أحاديث ألف ليلة وليلة لا تعبر عن هذا الترف تعبيراً حقيقياً ، بل تعبر عنه تعبيراً رمزياً !

ومن يصدق أن بعض الخلفاء كان يوضع على مائدته مئات من « الملاحق » لياً كل بكل واحدة لقمة فقط .

وتنافس الخلفاء في هذا الميدان ، حتى أصبح هو المظهر الحقيقي لعظمة الحاكم .

والترف إذا استبد بالعزائم صرعها وجعلها لا تساوى شيئاً مذكوراً . وأخذ الحكام يرثونه إرثاً ويتخذونه خلقاً .

والجمال هنا لا يتسع للأمثال .. ولكنني أذكرك بالحفل الذي

أقامه الخديوى إسماعيل عند ما فتح قناة السويس . . علما بأن البلاد
كانت غارقة في الديون، والشعب في مصر كان جيشا من الخفاة العراة !!
هذا الترف أفسد النفوس ، وأخل العقول ، وأنام الأفكار ،
وأحيا الفرائز والشهوات !!

وثالث الأسباب عندى هو الاستبداد . . . وانقرف عند
الاستبداد طويلا !

أتذكر يا أخى يوم أن دخل معاوية المدينة وجمع الناس وفيهم
الحسين وابن الزبير ، وبحوارها جنديان يشهران سيفيهما عليهما . .
لوحرك أحدهما شفتيه لا لتقمه السيف ، هو ومن يدافع عنه !

ووقف معاوية على المنبر يعلن أن هذين السيدين قد بايعا يزيد ،
وعلى عامة المسلمين أن يبايعوا . . وبايع أهل المدينة لأن الحسين وابن
الزبير قد بايعا وهما لم يبايعا فى حقيقة الأمر .

لنذكر ذلك ونتعمقه . . فإنه يأخذ بأيدينا إلى منابع الاستبداد
الأصيلة ، ومصباته الدامية !

لقد تطور هذا الخلق فى نفوس حكام الدول الإسلامية فيما
مضى . . حتى وصل إلى أن رئيس القراء — أى كبير الأمراء —

فى عهد السلطان عبد الحميد استكثر على السيد جمال الدين الافغانى أن
يلعب بحبات سبخته ، فى حضرة المقامات السلطانية والعظات التركية .
وابتسم جمال الدين عندما نسبته لذلك وقال : السلطان عبد الحميد
يلعب بمقدرات الشعوب ، وأنا لا يسباح لى أن ألعب فى حبات
« سبختى » !!

ولقد أخرج السيد عبد الرحمن الكواكبي كتابا خاصا فى هذا
المقام أسماه « طبائع الاستبداد » ويعتبر تحفة كريمة فى هذا الميدان . .
والحق أن شعوبنا المسكينة قاست فى الماضى ألوانا من استبداد السادة
والكبراء .

فالمصالحون كانوا لا يجدون مكانا لهم ، والأحرار مشمولون بنظرة
العطف والتقدير ، فوائد التعذيب لا تفارقهم . . والعقول مغولة . .
والأفكار العلمية مشلولة . . والإسلام انحصر تقريرا فى تهمات وتعاويد ،
والقرآن يتخذ أنشودة فرحة فى ليالى العرس ، وترتمة حزينة فى ليالى
المآتم والأحزان !

وامتلا بلاط الخلفاء والحكام بمثل ما امتلأ به بلاط فاروق
من حاشية فاسدة ووزارات تتغدى بميزانية الدولة كلها قبل أن يتعشى
بها ملك البلاد !

ومرت فترات على المسلمين من أقسى الفترات ، وعهود من أظلم
العهود ، وأيام من أبأس الأيام .

وكان أهل مصر يهاجرون إلى الشام فيجدون بؤسا أكثر ،
وألما أنسكى وأشد . . . لأن الخلافة التركية كانت عادلة جداً . .
إذ تسوى في الظلم والاضطهاد ، بين جميع البلاد والعباد !

(٤) وبين الترف والفساد تفرق المسلمون شيعة وأحزابا ، وتفرقت الدولة
الواحدة إلى دويلات ؛ واصطنعت الحدود ، وأقيمت السدود ، وكانت
الأساسة : لا يفتقل عربي من مصر إلى الأردن مثلا أو العكس إلا بجواز
سفر وإذن من وزارة الخارجية ، وسماح من الحكومة . . الأردنية . .
وما هي الأردن ؟؟ قطعة أرض من وطننا العربي الكبير رسمت على
ورق ثم جيء بملك وقيل له : ادفع ثمن الملك خيانة . . وخان فنصب
ملكاً . . ولو استمعت الآن إلى الألقاب الحديثة التي يوصف بها ملك
الأردن ، لوجدت أن هذه الألقاب لو جمعت كلماتها بعضها بجوار بعض
لكانت أطول من جسمه ومن مملكته ، ولو كانت هذه الألقاب
تشتري بنقود لمجزت ميزانية دولته جميعا عن الأداء !

نعم : بين الترف والاستبداد ضاعت سيادتنا ، وبادت ممالكنا ،
وأفلت شمسنا في الأنداس بعد ثمانية قرون كاملات !! وضاعت

فلسطين ، ووضعت الصهيونية يدها على بيت المقدس . . . يمتنا . .
وهي الآن تحلم بإقامة دولة من النيل إلى القرات !! وهيئات

(٥) وبين الترف والاستبداد تزعزعت العقائد في نفوس العامة ،
وبردت حرارتها وفترت في نفوس الخاصة . . . فاليوم لاتسمع في الدين
إلا جدلا ومراء ، ولا تجد في صفوف المتدينين اليوم من يرد الغنيمة
ويقول : إنما دخلت هذا الدين لأضرب في عنقي ثم أذهب إلى الجنة !
والعقيدة هي الدافعة إلى الأمام بقوة مسخرية لا توجد في الوطنية
مثلا . . فالوطنية قد تدفع ويشجعها الإسلام بمقدار ما تدفع . . .
ومثلها عندي كمثل أسطول كبير فيه مدافع ودبابات . . . فالوطنية هنا
هي القوة الجزئية من هذا الأسطول . . . والإسلام هو الأسطول كله
بجنوده ومدافعه ودباباته .

ولا شك أن هناك ميادين تكفي فيها القوة الجزئية ، وميادين لا
ينفع فيها إلا القوة الكلية . . . وقذائف المدفع الخارج من الأسطول قد
تساوى قذائف المدفع الذي يمشى على الأرض ، إلا أن المدفع الأول
مسنود ومحشود بقوة جبارة تدفعه . . . قوة الأسطول . . . وكذلك
الوطنية إذا سندها قوة العقيدة ، وأيدها روح الدين !

ونحن في وطنيتنا محتاجون إلى عقائد ، والعقائد ذاتها في حاجة

إلى وطن تعيش فيه أمانة من كل خوف ، سليمة من كل اعتلال . .
ولذلك كان من أسمى العوامل التي فتكت بنا فتتبت هذه العقيدة في
نفوس المسلمين على يد الرسائل التبشيرية والغزو الاستعماري لأرضنا
وأفكارنا على السواء ، وتخرج جيش كبير من دعاة الانحلال في
بلادنا ، وقادة الارتداد ، في جامعات أوروبا وباريس .

وبتفتيت العقيدة هان الدين وهانت تعاليمه وأصبح غير
ذى موضوع .

ومن أراد أن يعرف خطر الزحف التبشيري والاستعماري
فليراجع ميزانيات التبشير التي يرصد لها الفانيكان لهذا الغرض عن
طريق المستشفيات والتعليم .

ولنقتطف هذه السطور من كلمة السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير
الأوقاف : « إنني أراي مضطرا إلى مصارحتكم بهذه الحقائق الرهيبة
حتى تتداركوا الأمر قبل فوات الأوان :

« الحروب الصليبية مازالت مستمرة في سعارها الدامي ، ولسكن
بعناوين جديدة — وآية ذلك أنه لا توجد دولة مسيحية واحدة تزرع
تحت نير الاستعمار .

ولم تقتصر قوى الاستعمار على احتلال بلاد الإسلام اكتفاء بهذه
القوى العاشمة ، بل أقامت مراكز لتبشر فيها بفرض خبيث لتحتاط
للأمر إذا ما استقلت تلك البلاد ، حتى تظل في نطاقها الفكري خاضعة
لمؤثراتها ، وتعزلها عن باقي الكتلة الإسلامية .

وتنفق هذه الدول الاستعمارية — مهما تختلف في وسائلها وأغراضها
بإسراف على هذه المراكز التبشيرية ، لتحقيق أهدافها — مخفية
تلك الأغراض تحت ستار إنشاء المستشفيات والمدارس أو المؤسسات
الاقتصادية .

وعلى سبيل المثل أذكر ما نشرته مجلة « تيم » الأمريكية أن
بعثة واحدة في مساحة لا تزيد على عشرة آلاف ميل مربع في وسط
أفريقيا قد أقامت فيها ٥٥٠ مدرسة ، ٢٥٠ كنيسة ، في حين أن عدد
أتباعهم الذين استمالوهم في هذه المنطقة لا يزيد على ١٨٠٠٠ وطنيا ،
أي بمعدل كنيسة لأقل من ٥٠ شخصا ، ومدرسة لأقل من ٢٥ شخصا .

وقد وصل الزحف الفكري الاستعماري في بلادنا — نحن
المسلمين العرب — إلى أن بعضا من صحافييننا وكتابنا اليوم لا يعرفون
الأبجديات في دين الإسلام ، ولا الأوليات في اللغة العربية .

ولسكن هؤلاء وهؤلاء ، إما أن يتأقلوا بجونا الإسلامى العربى ،

وإما أن يلفظهم ركبنا الفاهض ، وقومتنا الشائرة ، كما لفظت
سادتهم وكبراءهم من زمن غير بعيد !

ولا زالت هناك أسباب هامة للتخلف . . طرأت علينا ولم تكن
فيما ، وهبطت علينا ولم تنبت في وادينا .

ومن أهم هذه الأسباب في نظري إهمال تربية البنت تربية دينية
قوية ، وبذلك نشئت الأسرة ، ودخلت البيت العربي تقاليد غير
عربية من سفور فاضح ، ولباس كاشف وواصف ، وموضات لم
ينزل الله بها من سلطان . . جعلت المرأة تخرج من البيت لتنشر عطرها
على الناس ، وكأنها تزف إلى عريسها . . فإذا عادت إلى بيتها لبست
ثياب المطبخ والتنظيف .

أهذا هو شعار المرأة العربية ! !

ما أكثر ظلمها لحضارتها ، وما أشد عقوقها لدينها .

لقد كانت المرأة العربية الأولى مثلاً لربة البيت ، وسيدة في العلم
والفقه ، وجندية من جنود الأسرة ، وملكة متوجة في القصور
والأكواخ ، ومشاركة للرجل في الأعمال المناسبة لها لا في كل
تقليعة وميدان !

ولو حكمت المرأة عقلمها ، وضبطت عواطفها لأدركت تماماً أن
الإسلام لا يريد بها إلا خيراً .

ومن أسباب التخلف ذلك التقاعد الشنيع عن تعميم الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبصير العالم الإسلامي بدينه عن طريق
اللغة المفهومة ، واللهجة الواضحة ، والتعبير المؤدى . . إن الرسائل
التبشيرية تسرق منا أبناء ديننا . . ونحن هنا نلصق بالمدن ، ونترك
قرانا وريفنا خالياً أو شبه خال من الوعظ والارشاد .

نعم : إن الأزهر الشريف يرسل لكل مركز واعظاً أو واعظين ،
وإن في القرى الظاهرة أو في مجموعة القرى الصغيرة إماماً لوزارة
الأوقاف ، ولكن هذا كله لا يكفي . . إن الأرض التي يرويها النهر
لا ترويها السواقي ، والغرف من البحر ، لا يكفي مكانه رشف الدير .
فنحن في حاجة إلى أن نزيل جاهليتنا المنشورة في بلادنا ، ثم في
عقول الكثير من المثقفين ! !

والمعروف كلمة جامعة للخير ، والمنكر كلمة واعية للشر . . والأمر
والنهي واجبان على من يحسنهما ويطبقهما :
« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله » .

وإلى هاتين الصفتين يرجع الفضل الأول في نشر الاسلام وتثبيت
قواعده ودعائه .

ولقد ولد البعد عن الدين مصائب جسيمة في الأمة الاسلامية
كالتواكل والهروب من المسؤوليات والميل إلى الكسل والخمول . . .
وإفشاء الخرافات ، واللصوق بالأرض ، والرضا باليسير من الرزق ،
والخضوع للظلم والضعف ، وعدم التحري في الأرزاق وانتظار الطعام
من السجادة وغير ذلك مما أضر بالمسلمين وأذهب عنهم أجدادهم وتاريخهم !
ولا يغرب عن البال ما وقفه بعض العلماء ورجال الدين من
مواقف كان لها الأثر السيء في الدين وأهله . . . فإذا كان لبعض رجال
الدين المواقف المشهودة ، فقد كان لبعض الآخر من الجود والانحراف
والتفسير والتأويل ما أزرى بالدين في نفوس أهله ، وجعله حائراً بين
جهل أبنائه وعجز علمائه !

غروب وشروق

تربعت حضارة الغرب على عرش العالم فترة كبيرة من الزمن بعد
أن تخلف قطار الاسلام عن خطه الحديدي المرسوم له ، وتهياً لهذه
الحضارة من وسائل الاتصال بالعالم ما لم يتهبأ لحضارة الاسلام ، ووجد
لديها من المواصلات المائية والجوية والأرضية ما لم يوجد لحضارة
الاسلام .

فماذا قدمت الحضارة الحديثة للعالم ؟

أول عيب في نظري للحضارة الحديثة هو حقدها الأعمى على
الأديان عامة وعلى الدين الاسلامي خاصة .

فالحضارة الحديثة وقفت جهودها كلها تقريبا لإعاش الجسد
وتقديم المرفهات له ولا شأن لها بالروح إلا في أضيق الحدود .

ويعجبني تعبير غربي يصور هذه الحالة فيقول :

إن الغربيين يعبدون البنك ستة أيام في الأسبوع ويعبدون الله
ساعة في اليوم السابع ، وحتى هذه الساعة يعبدونها على أنغام الموسيقى .

وبالغ بعض المتحضرين الغربيين فقال :

« لا أؤمن بالإله ولا الروح إلا إذا وضعا على المشرحة وساطفنا عليهما الميكروسكوب » .

وقال آخر :

« إن اكتشافا علمياً واحداً خير ألف مرة من ثروة رجال الدين منذ سقراط إلى يومنا هذا » .

واقعد كان رجل القرون الحجرية يبحث عن الآلهة ويتساءل عن الدين ، فإذا لم يجد من يدلّه عليه تخيل أى شيء فعبدّه ، وعظم أى شيء فقدسّه .

أما رجل الحضارة الحديثة ، فيغالط فطرته ، ولا يبحث عن الآلهة ، ويقاوم نزعة الروح فيه ولا يستجيب لدعاة الدين .

فهل يفرح الإنسان ويسعد حين يجلس في حجرة مكيفة وعن يمينه التليفون ، وأمامه التلفزيون ؛ ومن حوله أزرار تنقله إلى الجو وتصله بالعالم وهو مع ذلك كافر بالرحمن ، جعود القلب ، غليظ الفؤاد ؟

لا والله

ولأن يجلس الإنسان في الكونج وهو مؤمن ، خير ألف مرة من هذا الترف الباذخ والنعمة المزيفة وهو على غير دين مستقيم .

أما حقد الحضارة الحديثة على الإسلام ، فهذا حديث يطول ويطول ، ومجال يهول ويهول !

فلقد سعت إلى غروب شمس في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي ، بعد معارك طاحنة كان أهمها « معركة العقاب » التي توالى بعدها سقوط قرطبة سنة ١٢٣٦ ، واشبيلية سنة ١٢٤٨ ، وغرناطة يوم ٢ يناير سنة ١٤٩٢ ، وبذلك أصبحت الأندلس مملكة كاثوليكية تبسط سلطانها في هذا الجزء من العالم بعد حضارة إسلامية دامت ثمانية قرون ! فياترى : هل سعد الأسباني بالمسيحية أكثر مما سعد بالإسلام ؟

واقعد بذلت الحضارة الحديثة أيضاً الكثير من دمها ، ورصدت العظم من ميزانياتها لكي تقلص الإسلام في بلاده ، وتميته في أحيائه بقوة الحديد والنار ، وبالغزو والمسموم للقلوب والأفكار !

وجهاً لذلك كل جهودهم ، وكل مؤامراتهم ومكائدهم (١) فهل ذلك الحق على الأديان يناسب مدنية توصف بأنها مدنية متحضرة ؟

والعيب الذى يلى هذا العيب فى نظرى هو : ذلك الاستعداد الضخم الجبار لإفناء البشرية ، والقضاء على مقدرات الشعوب .

(١) راجع في ذلك كتابنا الدين والإنسان في موضوع أسباب خلود الإسلام واطلبه من مجلة الإسلام .

كل يوم نسمع سفنا أطلقت في الفضاء ، وصواريخ تقضى على
العالم كله في خمس دقائق ، ومعامل تفتظر الإشارة لتوجه الضربة
المدمرة ، « صفارات الإنذار » ينتظرها إسرائيلا ليطاق نفخته إذا
دق ناقوس الخطر .

فبالله يا سادة : ما هو الجرم الذي قدمته البشرية لتتقم منها الحضارة
الحديثة هذا الانتقام ، وتروعها هذا الترويع ؟

والشر لا يلد إلا الشر !

فولدت الحضارة الحديثة شيوعية — ماركس وإنجلز ولينين
واستالين .

تلك الشيوعية التي جعلت الإنسان آلة ، فجمدت العواطف ،
وأمت الأفكار ، وحجرت المشاعر ، وفسرت التاريخ كله تفسيراً
اقتصادياً بحتاً ، وانعزلت عن السماء ، وهددت الصوامع والبيع
والصلوات والمساجد ، وشطت في المقاييس والموازن « ومن شابه أباه
فما ظلم » .

وان يتيسر لما ركس أن يفكر غير هذا التفكير ، لأن الحضارة
الحديثة هي التي أنتجته وصاغته .

كما ولدت الحضارة الحديثة أيضاً رأسمالية طائشة تجعل حفنة من
الناس يتحكمون في أقوات العالم ومصائر البشر .

وبجوار ذلك كله صهيونية فاعرة فاها لتبتلع كل شعب غير شعب
الله المختار ، ولتأكل كل رزق غير رزق صهيون !

ووجودية تطالب علناً بالعريضة والفجور ، والفواحش الظاهرة
والباطنة ، بحجة أن الإنسان حر يفعل ما يشاء ويعيش كما يريد .

وليت الحضارة الحديثة ، وقفت عند هذا الحد ، بل ساندت
القوى على الضعيف ، وكبتت أنفاس الأمم المظلومة ، وأسكتت
أصوات الشعوب المقهورة ! !

تذهب ضحايانا العرب في الجزائر فتقول الحضارة الحديثة : إنها
مشكلة فرنسية داخلية .

ويعيش شعب فلسطين في الفضاء ، تقتلع الرياح خيامه
ويتعرض أهلوه وأبنائه للسل والجوع ، وبعد أمتار منه تقيم الدولة
الغاصبة على مسمع العالم ومبصره ، وتقول الحضارة الحديثة : إن الزمن
وحده كفيل بحل هذه المشكلة ، وسيذوب هؤلاء العرب في أرض
العرب ، فأما فلسطين فهي لإسرائيل .

وفي جنوب الجزيرة العربية تعيش القواعد البريطانية ، لتنفيذ سياسة الاستعمار وتتحكم في رقاب العرب هناك ، وتقول الحضارة الحديثة إنها مصالح مشتركة ، وسياسة معقولة .

وتقوم أكبر قاعدة ذرية أمريكية في الشرق في ليبيا ، وتقول الحضارة الحديثة ، إن العالم الحر رأى ذلك لصالح البشر .

ويتدخل الاستعمار جهارا نهارا في الكونغو ويرسل الكهنة إلى هناك ليعزلوا هذا الشعب المسكين عن العالم ، ويقيموا الثورات تلو الثورات ضد الحكومة الشرعية في البلاد ، وتقول الحضارة الحديثة : إن ذلك التدخل لصالح الافريقيين والله يعلم إنهم لكاذبون .

ويجد الزوج في أمريكا مالا يجده الحيوان هناك من التعذيب والاضطهاد ، والمفارقات والمبالغات ، في معاملة البيض لهم ، وحرمانهم من الحقوق الشرعية الضرورية ، وتقول الحضارة الحديثة : إن هذا حق مكتسب للبيض ، ومعاملة واجبة للزوج .

وكثير وكثير !!!!!

ذلك كله جعل شمس الحضارة الحديثة تأخذ في الأفول ، وتدنو إلى الغروب .

وأصبح العالم كله اليوم يتربح حضارة جديدة تغير هذا المنهاج وتعطل هذه الخطوط .

وان توجد هذه الحضارة إلا في الاسلام .

والخير لا يلد إلا الخير !

فحضارتنا فيما سبق ولدت الفكر الناضج ، والضمير السليم ، والعقل المفكر ، واليد العاملة ، والحرية لكل فرد ولكل شعب وكل عقيدة ، والوفاء بالعهود والمواثيق لجميع الأمم !

قالت : إن الحياة منحة من الله للانسان « إنا لنحن نحى ونميت ونحن الوارثون » . الحجر

وقررت أن الحرية تولد مع الانسان وتحيا بحياته ، فلا يصح أن تفتزع إلا ببصر ، ولا ينبغي أن تقيد إلا بقانون « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

وأكدت أن كل إنسان كريم على الارض ، فلا إهانة لا مريم مسلم ولا لغير مسلم ، ولا عدوان على فرد مسلم وغير مسلم « ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . الاسراء

وطالبت كل إنسان أن يبحث عن الدين وأن ينظر في السماء

ويتفكر في الأرض لينظر إلى آثار رحمة الله : كيف يحيي الأرض بعد موتها وكيف رفع السماء وكوكب النجوم ، وكيف أنبت الحب والعنب ، والقضب والزيتون والنخل والحدائق الغلب ليقول : « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » .

واشتطت أن يكون الإنسان لأخيه الإنسان ، فلا يصح أن يعيش منفردا فالؤمنون إخوة ، ولا يجوز أن يحيا أنانيا ، فالؤمنون في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

بلور رسولنا محمد ﷺ هذه المبادئ الإنسانية العالية وغيرها في المجتمع الجديد الذي أقامه في يثرب والذي وصفه القرآن فقال في سورة الحشر :

« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .
والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولقد جمع رسولنا محمد مبادئ الاسلام العامة في معاهدة بين المهاجرين والأنصار واليهود .

وهذه هي المبادئ :

- ١ — وحدة الأمة المسلحة من غير تفرقة بينها .
- ٢ — تساوى أبناء الأمة جميعا في الحقوق والكرامة ، يجير أدناهم على أعلاهم .
- ٣ — تكاتف الأمة كلها دون الظلم والاثم والعدوان والفساد كائنا من كان الظالم والمفسد .
- ٤ — اشتراك الأمة في تقدير العلاقات مع أعدائها ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن .
- ٥ — تأسيس المجتمع على أحسن النظم واهدائها وأقومها .
- ٦ — مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم .

٧ — حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً متعاوناً ، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم .

٨ — لغير المسلمين دينهم وأموالهم ، لا يجبرون على دين المسلمين ولا تؤخذ منهم أموالهم .

٩ — على غير المسلمين أن يساهموا في نفقات الدولة كما يساهم المسلمون .

١٠ — على غير المسلمين — في الدولة الإسلامية — أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

١١ — وعليهم أن يشتركوا في نفقات القتال ما داموا محاربين .

١٢ — وعلى الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يُعتدى عليه .

١٣ — وعلى المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

١٤ — إذا كانت مصلحة الأمة في الصلح وجب على جميع أبنائها المسلمين وغير المسلمين أن يقبلوا الصلح .

١٥ — لا يؤخذ إنسان بذنب غيره ولا يجنى جلن إلا على نفسه .

١٦ — حرية الانتقال في داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة .

١٧ — لا حماية لآثم ولا لظالم .

١٨ — المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

١٩ — هذه المبادئ تجمعها قوتان : قوة معنوية وهي إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن يروفي ؛ وقوة مادية ، وهي رئاسة الدولة التي يمثلها النبي محمد ﷺ .

هذه هي الحضارة الإسلامية التي أخذت من العرب الوثنية المتردية والقبائل المتفرقة والحياة الخشنة والعزلة الموحشة ، وأعطتهم توحيداً متسامياً وعيشاً رخيماً ، وأمة واحدة ، وقيادة لمواكب النور في تاريخ الإنسانية كلها .

وأخذت من العالم عقائده المتفسخة وملوكه الظلمة وحيوانيته المتقاتلة ، وأعطته العقيدة الحرة ، والقيادة الساحرة والانسانية النبيلة .

وأخذت من العرب أبا جهل وأعطتهم أبا بكر .

وأخذت من الشام هرقل وأعطتهم معاوية .

وأخذت من مصر المقوقس وأعطتها عمرا ! .

وأخذت من الفرس مزدك وأعطتهم أبا حنيفة .

وأخذت من قيادة العالم رسم وقيصر وأعطتها خالدًا وعمر .

وبذلك كانت حضارة إلهية في قدسيتها، محمدية في قيادتها، عربية في نشأتها، إنسانية في نزعتها، عالمية في رسالتها (١) .

والعالم اليوم يتطلع على أحر من الجمر إلى هذه الحضارة المشرقة الأصيلة .

فإن الجاهلية تحاول أن تنشر أطنابها من جديد، وإن الإلحاد عالمي يزحف زحفا حثيثا إلى الأفكار ليملاها بالضلالة وإلى البصائر ليطمسها بالشك، وذلك كله جعلنا نؤمن بأن شمس الإسلام ستشرق من جديد على الكون فتملؤه نورا .

(١) انظر كتاب اشتراكية الإسلام للاستاذ مصطفى السباعي صفحات

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥

وهناك قصيدة مشهورة للشاعر الفيلسوف محمد إقبال بعنوان « برلمان إبليس » ، تخيل فيها أن الشياطين اجتمعوا في هذا البرلمان ليتدارسوا شؤون العالم وقضاياها ، وليحددوا العهد أمام رئيسهم « إبليس » على إغواء الإنسان وفساد النظم، وتعميم الفوضى في العالم .

وتحدث الشياطين طويلا عن نظم الشيوعية والصهيونية والرأسمالية والمذاهب الأرضية ، وتجادلوا وتجادلوا . . . وبينما هم في جدلهم وحوارهم صاح فيهم إبليس قائلا : لا عليكم أيها الشياطين من هذه النظم ولا هذه الأوضاع ولا هذه المذاهب ، فكلها في خدمتكم ، وجميعها يعمل لسلطانكم وتمكينه في الأرض .

وأنا الآن أمسك بزمام العالم ، فكبار الحكام في الدول الكبرى يتهاشون تهارش الكلاب ، وينفذون سياسة الثعالب . وهذا كله يدعو إلى الطائنة والاستقرار .

ولكن شيئا واحدا هو الذي يؤرق مضجعنا ، ويزلزل كياننا وسلطاننا !

وصاحوا جميعاً : ما هو هذا الشيء ؟

فقال إبليس :

« يقظة العمالة » ... يقظة المسلمين من جديد !

قال الشياطين :

إن المسلمين اتخذوا القرآن مهجوراً ، وفتنوا بالرياسات وحب الدنيا ، واتبعوا الهوى وأسرفوا فيه ، وقد حكمنا عليهم بالتحول الكثير والرقاد الطويل ...

وتملأ إبليس وزمجر ثم قال :

آه من الإسلام !

أنا أعرفه جيداً ...

إنه يحيي العظام وهي رميم ، ويبعث الموتى ، ويشعل الرماد ناراً ...

إنه دين يسوى بين المالك والمملوك ، ولا يؤثر سلطاناً على صعلوك !

إنه ثورة في عالم الفكر والوجدان ، وثورة في عالم التصنيع والعمران

وثورة في عالم الهدى والتشريع !

أحذركم من يقظة هذا الدين ، وصحوة المسلمين !

وانفض برلمان إبليس بعد هذا التحذير وذلك الإنذار ، كما

صوره الشاعر الموهوب إقبال .

ولعل إبليس اليوم يندب حظه ، ويشكو بشه وحزنه ، ويرسم
خططه ومؤامراته ! !

فإن المسلم العملاق قد تيقظ وصحا !

وإن ملامح الفجر الصادق تؤذن بانقضاء الليل ، وإسفار الصبح
وبزوغ الشمس ، وضحي النهار ! ! كما ذكرنا .

فاليوم تتفاعل القوى العربية والإسلامية تفاعلاً قوياً ،
وهادفاً ، ومركزاً .

وليس هذا التفاعل الثوري من قبيل الموجة العابرة ، أو الومضة
الخطافة !

بل هو صادر عن فهم ، وكيان ، وبعد استعداد طويل

الوعيد الحق

الواقع المربيت أن دول الكفر الآن أقوى سلاح من دول الاسلام
هذه الأيام !

فالمسلمون اليوم يقاسمون العالم مساحة وعددا وملاك للثروة
والأقوات تقريبا .

ولكنهم مع ذلك هم المستضعفون الأذلون !

وإذا أدبرت الدنيا عن إنسان سلبته محاسن نفسه وأعطته
مساوىء غيره !

وكذلك المسلمون اليوم ، مسلوبو المحاسن ، مهضومو الحقوق !
فهل هذا يدوم ؟ ؟

لا

لأن الغربيين الذين تقدموا في ظاهر الأمر ، وانتصروا في واقع
الحياة ، ليسوا أصلاء في هذا التقدم ولا هذا الانتصار ، إنهم في تقدمهم
وانتصارهم عالة علينا نحن الشرقيين المسلمين . . أقروا بذلك أو لم
يقروا ! واعترفوا بذنوبهم وأدعيائهم أو لم يعترفوا .

أين كانت الحضارة الغربية قبل خمسة قرون ؟ ؟
أين كان الغربيون يوم ازدهرت حضارة العرب في الأندلس
وبغداد ؟ ؟

أين كانوا يوم فتحنا الهند وغزونا باريس ؟ ؟
أين كانوا يوم أهدى هارون الرشيد ساعتها الدقاقة لملك إنجلترا
فظن أن فيها شيطانا ؟ ؟

أين كانوا يوم رفرفت راية الاسلام على النصف المعمور من
الأرض ، ونشرت الأمة الاسلامية ألوية العدل والحرية فوق ربوع
الشعوب ؟ ؟

أين كانوا وأين كانوا يا علماء التاريخ ويارجال الآثار ؟
ولقد سادت دولة الكفر فترة كبيرة من الزمان ! فماذا صدرت
للعالم ؟ ؟

إن فقه الأحداث العالمية ، وطبيعة السنن الكونية تحتم على
المذاهب الأرضية أن تنزوي في عقول أصحابها ، لتفسح الطريق لشرائع
السماء أن تحتل مكانها تحت الشمس ، وأن تأخذ بيد الإنسانية المظلومة
المقهورة ، وتنشلها من هاوية المادية ، وظلمات الحواس المنعرجة !

إن المعروف بداهة أن الإنسان مادة وروح ! فقصر السعادة على
الجسد قصور ؛ وقصر السعادة على الروح ضمور ! والانطلاق المعقول
للفكر لا الفراغ هو منطق الفطرة وغاية الدين !

أما الانطلاق غير المعقول ، فمن ورأه تقصير العمر ، وذهاب
الراحة ، والتفريط في جلائل الأعمال ..

وقد انطلقت الحضارة الحديثة في الشهوة ، وأسرفت في عبادة
الهوى ، فلم تستحق أن تقود ركب الإنسانية الصاعد ، لأن قيادة
هذا الركب شرف لم تحرص هي عليه كما بينا ذلك من قبل !

وسبب ثان أن الحضارة الحديثة ارتفعت حتى حلقت في أجواز
الفضاء ، ووصلت إلى المريخ ، وفكرت في غزو القمر .. وحق
على الله أن لا يرفع شيئاً إلا وضعه !

كان عند الرسول ﷺ ناقة تسمى « العضيباء » لا تسابق إلا
منبقت . . ومرة جاء أعرابي بعمود له فسبق العضيباء ، فظهر الحزن على
وجوه الصحابة فقال النبي : إن حقا على الله أن لا يرفع شيئاً إلا وضعه !
وقد ارتفعت الحضارة المادية ، وتقدمت المذاهب الأرضية فأنحرفت
عن الطريق السوي ، وقربت بالبشرية من الجحيم .

والآن يأتي دور الحضارة السماوية ، والتجربة الربانية المتكاملة
في دين الإسلام !

والاسلام ليس جديداً في عالم الأديان ، إنما الجديد فيه أنه الدين
الناجم ، والشريعة التي جمعت في زواياها أصول الشرائع السابقة ،
وزادت عليها ما يناسب تطور العقل البشري ، إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها !

فلا وحى ينزل بعد نبينا محمد ، ولا قرآن ينزل بعد كتابنا العزيز
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
ديناً » المائدة !

« إن الدين عند الله الإسلام » آل عمران .

« ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين .. آل عمران » .

والمسلمون الفاقهون لدينهم هم الذين يضطلعون بحمل هذه الرسالة
ويؤدون حق الله فيها وحق البشرية عليهم !

ويوم أن فهم المسلمون رسالتهم غاصوا في معالم الكون ، فنوروا
مجاهله ، وعمروا خرائبه ، وحضروا بواديه .. وجعلوا من العالم وحدة
متناسكة ، سليم الأعضاء ، معافى البدن ، حتى ليجذب المسلمون في

المدينة عام الرمادة ويستنجد ابن الخطاب بابن العاص حاكم مصر
فيرسل إليه قافلة أولها في المدينة وآخرها في القاهرة ١.

ولذلك كانت الحضارة الإسلامية لا تنبت إلا فروعاً مخضرة ،
ونمرات حلوة ، وعقولا مخصبة .. فاستحق المسلمون وعد الله عز وجل
« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا » . « النور »
وقيّد الاستخلاف في الأرض ، والسيادة عايتها ، باستقامة المنهاج ،
واتباع الشريعة ، والتزام السلوك الحسن .

« الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » . « الحج »

* * *

تحدث اللواء كمال عبد الحميد في منبر الإسلام عن رحلة له في الغابة
الحمراء بالقرب من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة
الأمريكية .

وفي هذه الرحلة شاهد حدثاً غريباً : ذلك أنه كان يعيش هناك
إنسان أمريكي اسمه كلارك ، فدعاه يوماً إلى هذه الغابة الموحشة المقفرة
التي يرجع تاريخها إلى قرون ماضية .

و بينما هما يمشيان إذ فاجأتهما كتلة خشبية ضخمة ، وظهر على تلك
الكتلة الخشبية حلقات مستديرة تبين طبقات الخلايا التي تكون
منها جذع الشجرة .

وقد ثبتت الكتلة بدعامتين راسيتين ووضعت بعض اللوحات
الصغيرة على سطحها وعلى أبعاد مختلفة من مركزها وكتب على كل
لوحة حدث معين وتاريخه .

وعلى لوحة من هذه اللوحات كتبت هذه العبارة : « مولد النبي
محمد ﷺ في أبريل ٥٧١ بعد الميلاد » وكانت هذه العبارة مفتاحاً
لحديث طويل من المستر كلارك .

فقد التفت إلى اللواء كمال عبد الحميد وقال له :

هل سجلتم تاريخ نبيكم بمثل هذه الصورة ليسهل على الأجيال
المتعاقبة تذكرها واستلهاهم الاشراف المستمد من الذكرى ؟ وكان
الجواب نعم .

ثم سأل :

وهل درست تاريخ محمد في مدارسكم للبنين والبنات دراسة
إجبارية تحليلية شاملة ؟ وكان الجواب تقریباً .

وظهرت علامات عدم الارتياح على المستر كلارك وقال :

كم وددت أن يكون الجواب نعم ، فلو كان يهتدى الأمر هنا في
بلادى أو في بلد آخر لفرضت دراسة تاريخ محمد لأنه إنسان كامل
وقائد مثالي ، ولا يمكن أن تكون صفاته وخلقه من صنعه أو من صنع البشر .
لقد درست تاريخ النبي محمد فوجدت فيه نفس الضائقة ، وآمالى
المفقودة وكأني عشت مع محمد في القرن السادس للميلاد لأشهد صلابته أمام
الأحداث التي تعرض لها من قومه وأهله ومن أعدائه على السواء
ورأيت يتلقى صدمات الزمن في موت أحبائه وأولاده فلم تلبث قناته
واستمر في طريقه داعياً للإيمان الذي ملأ قلبه ، وهادياً للخير الذي طبع
عليه متمسكاً بالصبر في دعوته ، فكان بذلك ينبوعاً كاملاً بالمعرفة
الإلهية .

لقد أتى محمد ومعه القوة يدعو إليها من أجل عزة الضعيف ، وأتى
ومعه الرحمة ليمنح بها متاعب البشر وأحزانهم أجمعين . وليعطى الدرس
والعظة لكل من تنكبه الليالي والأيام . وقد تمنيت أن أعيش في
زمانه لأرى كيف تخضع الحياة للعقيدة ، فتجعلها العقيدة أقوى
من الحاجة !

والله الذي أنقذه هذه السيرة العطرة إلى أعماق هذه الغابة ، كفيلاً
بأن يتمكركم سبحانه بحفظ هذا الدين في أعماق الأمم وأعماق التاريخ .
إن ديننا لا ينقصه البرهان ، ولا يعوزه الدليل !

إنما الذي يحتاج إليه دعاة كرام بررة ينشرونه على الناس
بأساليب تناسب العصر ، وفهم تتلاءم مع الحياة .
فكرة الاسلام قوة ذاتية في مبادئها وكتابتها ونبيها ! فكأن لهذه
المبادئ على الارض ينتشر السلام في العالم .

وانشر تاريخ نبينا على الناس ينقلبوا عظماء في يوم وليلة .

وافتح كون الله المسطور في قرآن الله المنشور وادخل به إلى أى
مجهل شئت أو أى غابة شئت أو أى صحراء شئت واغز به أى عالم
شئت فستجدهم يهتفون بما هتف به الجن حين قالوا :

«إنا سمعنا قرآنا عجبا يهتدى إلى الرشاد فآمننا به وإن نشرك بربنا أحداً»

والدعوة إلى الاستمداد بالقرآن والاهتداء بهداه والسير عليه
تحتوى جميع عناصر السيادة ، لما احتواه من تلك النظم والقواعد
والمبادئ والتلقينات . ولا يستطيع أى فرد أن يرتاب في قوتها وتأثيرها
النادر العميق ، إذا ما صدرت عن قوة وجدٍ وإيمان وحسن فهم .

«ولقد يقول بعض المثقفين العرب : ما بالك تدعو إلى الرجعة إلى
الوراء أربعة عشر قرناً ، بينما العالم يتقدم طائراً إلى الأمام ؟
وما بالك تبشر باستمداد حوافز الأمة العربية ونشاطها في

يقطعها من مقدسات بعد ما بينها وبين ظروفنا بعدا شاسعا ، من جهة . وفي حين قد وطد العالم ومائل نهوضه وقواعد حركته وحوافز نشاطه على العلم ، الذي أصبح هو الناظم الحقيقي الصادق لكل ذلك من جهة أخرى ؟

وما بالك تريدنا أن نبقى في الإطار القديم الضيق والتعاليم التي أفقدتها قدسيته المرونة والحركة وقابلية التطور ، وأن نجمد على ذلك ؟ في حين يجب أن تشتد الدعوة إلى الانطلاق التام إلى التغرب واعتناق أساليب الغرب في كل ناحية من نواحي الحياة ، لأنها هي الأفق الأوسع القائم على العلم والتجربة ، والضامنة لحرية الفكر وانطلاق العقل والتجديد المستمر دون ماعائق من دين وعقبة من تقليد قديم . ولأن الجود أمامها إنما يؤدي إلى الانكسار والخذلان والبقاء في الضعف والذل والمهانة .

ونقول : أولا — إننا إذ ندعو إلى القرآن الذي نزل قبل أربعة عشر قرنا لا ندعو إلى رجعة وقهقري . وإنما إلى تجديد وثورة على ما نحن فيه من جهود ، لأنه قد انطوى على سعة من الأفق ومرونة في التطبيق وسمو في الأسس والأهداف تكفل تقدمنا إلى الأمام قدما إذا نحن تفهمناه وسمونا عليه .

وثالثا — إنه لا يمكن لأي كان أن يدعى صادقا بأن أي عصر استطاع أن يتفلسف من تأثير المثل العليا والأفكار الفلسفية والإصلاحية والأخلاقية والاجتماعية والانسانية التي أشاعتها الأديان والفلاسفة النبهاء منذ القديم ، وإن مما لا يمكن أن ينكر أن ما عند الغرب من آداب ، وأفكار ونظريات ومثل وفلسفة ، بل ونظم وتقاليد ، يرجع كثير منها إلى ذلك القديم . وإن الدعوة إلى استلهاهم القديم لا يمكن أن تكون شاذة ، أو دعوة إلى القهقري دائما . لأن البشرية سلسلة متصلة الحلقات ، وأجيال متواثقة الصلات يمد بعضها بعضا ويرث بعضها بعضا وتظل أولاها متمزجة بأخرها وأخرها مقتبسة من أولاها .

وإن القول بغير ذلك هو تجاهل للحقائق والوقائع ، وتحكم لا مبرر له ولا سند .

ثالثا — إن من الحقائق التي لا يمكن أن يمارى فيها ، أن النظام شيء وتطبيقه شيء آخر . وأن عدم تطبيق نظام ما لا ينتج عنه دائما عدم صلاح ذلك النظام ، وأن شذوذ أمة أو جماعة أو حكومة في ظرف ما عن الطريق القويم وارتكاسها في الفوضى والمنكرات لا يتأتى دائما عن عدم صلاح ما عندها من نظم وتقاليد . وأن هذا التخلف كثيرا ما يأتي عن عوامل متنوعة أخلاقية واجتماعية وسياسية وداخلية وخارجية ونفسية واقتصادية .

وأن هذا ليس محصوراً في بلد دون بلد ، ولا في دولة دون دولة
ولا في زمن دون زمن . بل هو شيء ممكن الحدوث في كل بلد وفي
كل دولة وفي كل زمن . وإن الدعوة التي ندعو إليها إنما ترمي إلى
تفهم واستبلاء ما في القرآن من أهداف ونظم ومبادئ وقواعد .
والتنبيه على ما فيها من سمو وصلاحية لا يمارى في فائدة الاستلزام منها
والرجوع إليها في نظمنا الجديدة إلا مكابر أو مغرض .

رابعاً — من المعروف أن جذور الدين متأصلة في الناس تأصلاً
لا يمكن لأي قوة أو دعوة أن تقتلعها منهم .

وإن وجود واحد في كل مائة ألف أو خمسين ألفاً يفكر هذا
التفكير الذي يفكر به المعارضون — لا يعني أن الناس يمكن أن يتفكروا
من تأثير الدين وقوته ونفوذه . وما دام أن القرآن الذي هو كتاب
المسلمين المقدس عامة وكتاب أكثرية العرب العظمى خاصة بين
أيديهم يقرؤونه صباح مساء ويعتقدون أنه نبراسهم ومرجعهم وفيه من
النظم والمبادئ والقواعد والتقاليد والأحكام والتلقينات ما يمس جميع
نواحي حياتهم بمقياس أوسع كثيراً مما في أي كتاب دين مقدس آخر
فإن صلتهم به وتأثيره فيهم لا يمكن أن ينقطع مهما انقلبت الظروف
وتطورت الأحوال .

وما دام أن في هذه القواعد والنظم والمبادئ والتقاليد والأحكام
والتلقينات من المرونة وسعة الأفق والسمو والإحاطة ما فيها فإن من
الخير كل الخير أن تشتد الدعوة إليها والاستبصار بها والاستمداد منها ،
وإن من الشر أن يترك السواد الأعظم الذي يدين بالقرآن ويقدره
ويتأثر به في غفلة وجهل وعماء عما فيه ، يستغلهم المستغلون ويتحكم فيهم
الجامدون . وإن في انتشار هذه الدعوة بين المثقفين خاصة لمن شأنه أن
يجعلهم أصحاب التأثير وأن يمكنهم من قيادة هذا السواد الأعظم
وتوجيهه إلى ما فيه الخير والحق والصلاح والقوة والنور .

خامساً — وإن في تلك النظم والمبادئ والأهداف والتلقينات
من المرونة وسعة الأفق والسمو ونوحى الصلاح ما يدعو بكل قوة
إلى الأخذ بأحسن الوسائل ، والاستمداد في كل ناحية من نواحي
الحياة . وإثارة المسلم وإيقاظ الضمائر وتحريك الهمم . وبعبارة أخرى
ما يدعو بكل قوة إلى كل ما فيه كمال الإنسانية وخيرها وتقدمها
ورفعها وما يجعل الطريق واسعاً ليقوم ببناء الأمة وكيانها على التفكير
السليم والعلم دون عائق .

سادساً — إن الخوف من خطر إقامة بنيان على تعاليم ونظم
مستمدة من الدين ومن استلزام هذه التعاليم والنظم إنما يكون صحيحاً

حينما تدعو إلى التعصب المذموم والجود الضار وتقف عثرة في سبيل
الإصلاح والصالح والتجدد والاقتباس وتحدد للناس جزئيات جباياتهم
وأشكالها وكيفيتها . وتحد من نشاطهم وحيويتهم ونظرهم إلى البقاء
ضمن نطاق ضيق جامد ، وكل هذا منتف كل الانتفاء من التعاليم والنظم
والمبادئ والأهداف العامة التي انطوت في القرآن . (١)

ومن هنا نعلم أن رسالة القرآن لا تحتاج إلى تعديل جديد أو
تقنين حديث ، لأنها خاطبت وعى البشر عامة وتغاسب أفهام
الناس جملة « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
أعتدنا لهم عذاباً أليماً » . الإسراء

والله عز وجل حين نزل القرآن كتب له الحفظ وكتب له الدوام
والاستمرار . ولم يكتب هذا الدوام والاستمرار لأي شريعة مضت ولا
لأي كتاب سواه - « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً
ونذيراً . وقرآنًا فرقناه لنقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً »

الإسراء

(١) راجع مقدمة كتاب الدستور القرآني وشئون الحياة

أيها المسلمون :

يجب أن يكون الدين لخدمة الأمة وسداها ، وشعارها ودثارها
وعصبها المشدود ، وساعدها المفتول ، وعقلها المفكر ، وقوتها المدبرة !
« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن
مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ... الأنعام ...

إننا ننشد -- باسم الدين -- رقياً في الجسم بالصحة والعافية ،
ورقياً في التفكير بالهدى والتدبير ، ورقياً في المجتمع بالحب والتسامح
ورقياً في النسل بالزواج وحسن الاختيار ، ورقياً في الصداقة بوفاء
الذمة ومراعاة الحقوق ، ورقياً في الحكم بالشورى والعدل والاحسان
ورقياً في العقيدة فلا إكراه ولا اضطهاد ، ورقياً في الروح بالسمو
والصفاء والفيض والاشراق ...

وهذا هو الرقي الإسلامي في طوله وعرضه ، وأوله وآخره ، ودنياه
وعقباه ...

« نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

القاهرة في : ربيع الثاني سنة ١٣٨٠ - أكتوبر سنة ١٩٦٠



كتب للهؤلف

١٥	٢٠٠	صفحة	(١) المنهاج الاشتراكي على ضوء الاسلام
١٥	٢٠٠	»	(٢) صلاح الدين الأيوبي
١٥	٢٠٠	»	(٣) السعادة الزوجية في الاسلام
١٠	١٤٤	»	(٤) الدين والانسان

تطلب هذه الكتب من

إدارة مجلة الاسلام ، ومكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة وهبه بالقاهرة ،
ومكتبة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، والمكتبة التجارية ببيروت ،
ومكتبة المثني ببغداد ، ومن مكتبة صادق أبو لبن بمكة المكرمة -
المعابدة !!

تحت الطبع

- (١) ابن حنبل بين محنة الدنيا ومحنة الدين
(٢) الطلاق في الأديان السماوية الثلاث

